مظاهر الاغتراب والحنين للوطن الأندلسي
فن الرسائل نموذجاً

Manifestations of alienation and nostalgia
Andalusian homeland
The art of letter as a model

إعداد

د. علا علي إبراهيم

Dr. Ola Ali Ibrahim

قسم اللغه العربية - كلية دارالعلوم، جامعة المنيا

Doi: 10.21608/mdad.2022.213047

الاستلام: ١٠/١٠/٢٠٢١م **القبول : ٢٥ / ١٠ /٢٠٢١م**

إبراهيم، علا علي (٢٠٢٢). مظاهر الاغتراب والحنين للوطن الأندلسي فن الرسائل نموذجًا ، ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٦ (١٦)، ١٢٥ – ١٦٦.

مظاهر الاغتراب والحنين للوطن الأندلسي
فن الرسائل نموذجًا

المستخلص:

ارتبط الإنسان منذ القِدم بمكان نشأته الأول وموطن ميلاده، لذا لم تخل آداب الأمم والشعوب من مظاهر الافتتان بالوطن والتغني به وبمن فيه من الأهل والأصدقاء نثراً وشعراً، حيث إن الشعور بالحنين والانتماء للوطن فطري لدى الإنسان يولد معه منذ لحظة الميلاد الأولى بل يلازمه مهما اعترضه من الأمور والأزمات داخل الوطن، وله من الأهمية ما لا نستطيع إنكاره ، والأندلسيون باعتبارهم أمة من الأمم الإسلامية والعربية القديمة لم يفتقدوا الشعور بالحنين إلى أوطانهم ، حيث إن الأندلس على وجه الخصوص جنة الله في الأرض على حسب ما يذكره المقري في وصفها. والباحث في التراث الأندلسي يجد الكتاب والشعراء مولعين بالتغني بمحاسن بلادهم والثناء عليها، ومن الأدب الأندلسي المميز هو رسائل الغربة والحنين إلى الوطن وهى هدف هذه الدراسة، والدراسة هنا تناولت من خلال الرسائل الأندلسية صورة منزلة الوطن في نفوس أهله، وصعوبة الغربة وسوء الأحوال الاجتماعية، وأيضا دلالات النفي عن الوطن والأهل وآثارها، واختتمت الدراسة بكيفية تصوير غربة الوطن والأهل.

كلمات مفتاحية: الوطن، الاغتراب، المنفى، الحنين، الأندلس ، الرسائل .

Abstract:

Man has been associated since antiquity with his first place of birth and origin, so the literatures of nations and people has not been devoid of manifestations of fascination with the homeland and the praise of it and its family and friends in prose and poetry. Since the feeling of nostalgia and belonging to the homeland is innate in the human being, born with him from the moment of his first birth, and even accompanies him, no matter what he faces from crises inside the homeland and has a big importance that we cannot deny. And the Andalusians, as one of the ancient Islamic and Arab nations, did not lack the sense of nostalgia for their homeland, as Andalusia in particular was the paradise of God on earth, according to what Al.Maqri mentuoned in his description. And the researcher in the Andalusian heritage finds writers and poets fond of singing about the virtues of their country and praising it. Among destictive Andalusian literature is the letters of exile and

nostalgia for the homeland, which is the goal of this study. This the study here dealt, through the Andalusian letters, the image of the place of the homeland in the hearts of its people, the difficulty of alienation and poor social conditions, as well as the indications of exile from the homeland and the family and its effects. The study concluded with how to portray the Alienation of the homeland and the family.

Key words: motherland, alienation, exile, nostalgia, AlAndalus, messages.

مقدمة:

ارتبط الإنسان منذ القِدم بمكان نشأته الأول وموطن ميلاده، فكان كلما اضطرته الأحوال داخل الوطن إلى المغادرة عن وطنه ، يجد نفسه تمتلئ بالشوق والحنين إلى الوطن وما فيه من ذكريات الصبا والشباب ، لذا لم تخل آداب الأمم والشعوب من مظاهر الافتتان بالوطن والتغني به وبمن فيه من الأهل والأصدقاء نثراً وشعراً، حيث إن الشعور بالحنين والانتماء للوطن فطري لدى الإنسان يولد معه منذ لحظة الميلاد الأولى بل يلازمه مهما اعترضه من الأمور والأزمات داخل الوطن، فهو شعور متواجد لدى جميع البشر على حد سواء، وله من الأهمية ما لا نستطيع إنكاره ، ويظهر ذلك جلياً في رسالة نسبت للجاحظ بعنوان (الحنين إلى الأوطان) والتي دلل فيها على أهمية هذا الشعور وقيمته لدى الإنسان؛ إذ يقول في ذلك المعنى : **"فهؤلاء الملوك والجبابرة الذين لم يفتقدوا فى اغترابهم نعمة ، ولا غادروا في أسفارهم شهوة حنوا إلى أوطانهم ، ويقنعون بتربهم ومحالهم ، ورأيت المتأدب من البرامكة المتفلسف منهم، إذا سافر سفراً أخذ معه من تربة مولده في جراب يتداوى به! "**[1].

منزلة الوطن عند الأندلسيين:

الأندلسيون باعتبارهم أمة من الأمم الإسلامية والعربية القديمة لم يفتقدوا الشعور بالحنين إلى أوطانهم ، حيث إن الأندلس على وجه الخصوص جنة الله في الأرض على حسب ما يذكره المقري فى وصفها[2]. لذا نجد كتاب وشعراء الأندلس أكثروا من التغني بالوطن العام والخاص في مختلف الظروف والأحوال التي مرت بهم وبأوطانهم ، حتى أصبحت صورة الوطن لا تغادر عقولهم ووجدانهم أينما ذهبوا، فالوطن والأرض عند

---

[1]- الحنين إلى الأوطان ،ابي عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق وتعليق: الشيخ طاهر الجزائري،الناشر:المطبعة السلفية ــ القاهرة، ط٢، سنة١٣٥١م، صـ٤٠:صـ٤١.

[2]- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تأليف: أحمد محمد المقري التلمساني،تحقيق: د/ إحسان عباس،ج١، الناشر: دار صادر ــ بيروت ، د.ط، سنة ١٩٨٨م، صـ١٢٦.

الأندلسيين بالمفهوم الحديث يعدان بمثابة أساس منح الجنسية الأندلسية فمن هاجر إلي الأندلس وأقام فيها فهو أندلسي مهما يكن موطنه الذي ينتمي إليه، ومن كان أندلسياً ورحل عن الأندلس فهو ليس أندلسياً حتى وإن كان مولوداً على أرضها، وهذا المعنى أشار إليه (ابن حزم الأندلسي)[٣]، في رسالته التي وصف فيها أحوال أهل الأندلس، حيث يقول: **" فمن هاجر إلينا من سائر البلاد، فنحن أحقُّ به، وهو منا بحكم جميع أولي الأمر منا ، الذين إجماعهم فرضٌ اتباعه، وخلافه مُحَرَّمٌ اقترافُهُ ، ومن هاجر منا إلى غيرنا فلا حظَّ لنا فيه ،والمكان الذي اختاره أسعد به "** [٤]. لذلك فان الهجرة عن بلاد الأندلس، كانت من أخطر النكبات التي قد تصيب الأندلسي خاصة وإن كان المهاجر عن الأندلس كاتبًا مرهف الحس ارتبطت ذكرياته بوطنه الذي يمثل مصدرًا اساسيًا لإلهامه وإبداعه. والباحث في التراث الأندلسي يجد الكتاب والشعراء مولعين بالتغني بمحاسن بلادهم والثناء عليها، وهو ما برهن عليه المقري في افتتاحية النفح قائلاً:**" مَحَاسِنُ الأَنْدَلُسِ لَا تُسْتَوْفَى بِعِبَارَةٍ، وَمُجَارِي فَضْلِهَا لَا يُشَقُّ غُبَارُهُ، وَأَنَّى تُجَارَى وَهْيَ الحَائِزَةُ قَصَبَ السَّبْقِ، فِي أَقْطَارِ الغَرْبِ وَالشَّرْقِ "**[٥]. وهذا هو الوطن الحُلم أو (الفردوس المفقود) كما صوره المقري في نفحه، والذي يؤكد على حب الأندلسين لأوطانهم، وتملك هذا الشعور منهم ، حيث أصبح الوطن يشكل قيمة كبرى في وجدانهم، حتى وإن اضطرتهم الظروف إلى الارتحال عنه، حيث نجد (ابن زيدون)[٦]، يرتحل عن موطنه (قرطبة) ويتنقل بين البلاد، فيحل عليه العيد وهو مرتحل عن وطنه فينادي أهل (قرطبة)، موضحاً مدى ألمه في غربته عن الوطن قائلاً:

إن كان عادكم عيد فرب فتى بالشوق قد عاده من ذكركم حزن

وَأَفْرَدَتهُ اللّيَالِي مِنْ أَحِبَّتِهِ فَبَاتَ يُنْشِدُهَا_مِمَّا جَنَى الــزَّمَنُ_

---

[٣]- هو أَبى عمر أَحمد بن سعيد بن حزم الفارسي مولى بني أمية، كان عالماً بفنون الحديث والفقه والادب ومشاركا فى كثير من انواع العلوم كالمنطق والفلسفة والف الكثير من الكتب فيها. تنظر ترجمته : المُغرب فى حلى المغرب ،ج١، صـ٣٥٤:صـ٣٥٧ .

[٤]- رسائل ابن حزم ، تحقيق : د/ إحسان عباس،ج٢ ، الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ، ط٢ ، سنة ١٩٨٧م صـ١٧٦.

[٥]- نفح الطيب ، للتلمساني ، ج١، صـ١٢٥.

[٦]- هو أبي الوليد ابن زيدون ، كان صاحب منثور ومنظوم وخاتممة شعراء مخزوم، واسع البيان نظماً ونثراً، ينظر ترجمته فى: الذخيرة ، ق١، جـ١، صـ٣٣٦:صـ٣٣٩، وخريدة القصر ، جـ٢، صـ٤٨:صـ٥٣.

"بِمَ التَّعَلّلُ؟ لاَ أهْلٌ!وَلاَ وَطَنٌ! وَلاَ نَدِيم! وَلاَ كَأسٌ!وَلاَ سَكَنُ!"[٧]

ويستمر ابن زيدون مظهراً معاناتة فى البعد عن وطنه فما يجد أمامه إلا أن يرسل إلى وطنه السلام من خلال أرجوزته التى صاغها اثناء غربته فى (بطليوس) قاعدة ملك بني الأفطس ، والتي تقع في الشمال الغربي من قرطبة،حيث يقول:

يا دَمْعُ صُبْ مَا شِئْتَ أَنْ تَصوباَ[٨] **وَيــاَ فُــؤَادِى آن أَنْ تَذُوبـــاَ**

إذِ الزَّزَايــاَ أَصْــبَحَتْ ضُرُوبـــا[٩] **لَــمْ أَرَ لي_فــي أَهْلِها_ضَــريبَا**

قَــدْ مَــلأَ الشَّــوْقُ الحَشَــا نُــدُوباَ فــي الْغَرْبِ إذْ رُحْتُ بِــهِ غَرِيبَــا

عَلِيــلَ دَهْــرٍ سَــامَنِي تَعْذِيبَــا أَدْنَــى الضَّــنَى إذْ أَبْعَدَ الطّبِيبَــا

إذَا أَتَيْــتَ الْــوَطَنَ الحَبِيبَــا وَالْجَانِــبَ المُسْتَوْضَــحَ الْعَجِيبــاَ

وَالْحَاضِــرَ المُنْفَسِــحَ الرَّحِيبَــا فَحَــيَّ مِنْــهُ مَــا رَأَى الْجُنُوبَــا[١٠]

واستمر حنينه إلى قرطبة مسقط رأسه وموطن نشأته،على الرغم مما كان يتمتع به من مكانة أدبية وسياسية في أي موطن يقيم به ويحل عليه، إلا أن (ابن زيدون) الأديب تسيطر عليه مشاعر الغربة عن الوطن ، ومما يبرهن على استحواذ شعور الغربة على الكاتب وحنينه إلى الوطن الخاص ومسقط رأسة (قرطبة)، ما قاله في رسالته الجدية:" **ولعمري ما جهلتُ أنّ الرأىَ في أن أتَحَوَّلَ إذا بلغتني الشمس، ونبا بيَ المنزل ، وأضرِبَ عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال ،ولا أستوطىء العجزَ فيضربَ بي المثَل: خامري أُمَّ عامر ، وإني مع المعرفة بأن الجَلاء سباء، والنقلة مثلةٌ، والعارف**

---

[٧]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، تحقيق: د/ علي عبد العظيم ، الناشر : نهضة مصر – القاهرة ، سنة ١٩٨٠م ، صـ١٦٢ : ١٦٣.

[٨]- صاب المطر : أى انصب بغزارة.

[٩]- ضروبا: أى أشكال عديدة ومختلفة.

[١٠]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ١٥٤: ـ١٥٥.

أنَّ الأدبَ الوطنُ الذي لا يُخشى فراقُه، والخليطُ الذي لا يتوقّع زِيالُه، والنسب الذي لايُجفى؛ أينما توجه ورد أعذب منهل، وحطَّ في جَنَابِ قبول، وضوحك قبل إنزال رَحله ، وأُعطيَ حُكمَ الصبي على أهله، غير أنَّ الوطن محبوب ، والمنشأ مألوف ، واللبيب يحنُّ إلى وطنه، حنينَ النجيبِ إلى عَطَنه، والكريمُ لا يحفو أرضاً بها قوابلُه، ولا ينسى بلداً فيه مرَاضِعُه "[١١]

فالرسالة توضح للمتلقي مدى نمو الشعور الوطني لدى الكاتب وتعلقه به ، فمهما تقلد من مناصب وتمتع بمزايا وعطايا بعيداً عن وطنه فهو لا يشعر إلا بلوعة الغربة عن وطنه.

استمر أدباء الأندلس في إعلاء الشعور بالحنين إلى الوطن، بل والمفاخرة بمحاسنه من خلال ذكر أسماء المدن الأندلسية وصفاتها التي عمد إلى استخدامها هؤلاء الأدباء في انتاجهم الشعري والنثري، ويظهر ذلك جلياً لدى (ابن الخطيب) في رسالته التي يتذكر فيها الديار الأندلسية، مفتخراً بالوطن الخاص (مالقة)، ومعدداً محاسنها، حيث بدأ بتشبيهها بالجوهرة التي تتوسط القلادة وهي أنفس وأثمن مايكوَّن القلادة ، فمدينة (مالقة) تتسم بالسلام وتجتمع فيها الكثير من محاسن البلاد الإسلامية ،كالأزهار والأنهار، وكثرة الروض، والفواكه بها، كما كان لها شهرتها بالمعادن النفيسة ، وصناعة الفخار التي كانت من أسباب تزايد التجارة بها، وهو ما صاغه لنا الكاتب في إحدى فصول الرسالة قائلاً: **" قلت فمدينة مالقة[١٢] ، فقال: وما أقول في الدُرَّة الوسيطة، وفردوس هذه البسيطة، أشهد لو كانت سورة لقرنت بها حِذْقَة الإطعام، أو يوماً لكانت عيداً في الأيّام تبعث لها بالسلام مدينة السلام، وتُلقى لها يد الاستسلام، محاسن بلاد الإسلام. أي دار، وقطب مدار، وهالة إبدار، وكنز تحت جدار، قصبتها مضاعفة الأسوار، مصاحبة السنين محالفة للأدوار، قد برزت في أكمل الأوضاع وأجمل الأطوار، كرسيّ ملكِ عتيق ومَدْرج مسك فتيق ، وإيوان أكاسره، ومرقب عُقاب كاسره، ومجلى فاتنة خاسره، وصفقة غير خاسره، فحماها منبع حريز، وديوانها ذهب إبريز، ومُذْهَب فخارها له على الأماكن تبريز، إلى مدينة تبريز، وحُلل ديباجها، البدائع ذات تطريز. اضطبنت دار الأسطول، وساوقت البحر بالطول، وأسندت إلى جبل الرحمة ظهرها ، واستقبلت ملعبها ونهرها ، ونشقت وردها الأرج وزهرها، وعرفت قدرها، فأعلت مهرها، وفتحت جفنها على الجفن غير الغضيض، والعالم الثاني ما بين الأوج إلى**

---

[١١]- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: د/ إحسان عباس، ق١،ج١، الناشر: دار الثقافة بيروت ـ لبنان، سنة ١٩٩٧م ، ق١،ج١، صـ٣٤٢ : ٣٤٣

[١٢]- مدينة ساحليه معروفة بجنوب شرق الأندلس تشتهر بزراعة الفواكة الممتازة وبصناعة الفخار وتكثر فيها مستودعات الأسماك المملحة ، انظر: نفح الطيب، للتلمساني ، جـ ١، صـ١٦٢.

الحضيض، دار العجائب المصنوعة ، والفواكه غير المقطوعة ولا الممنوعة ، حيث الأواني تلقي لها يدَ الغَلَبْ ،صنائع حَلَب، والحلل التي تُلِحُ صنعاء فيها بالطلب ، وتدعو إلى الجلب ، إلى الدست الرهيف ذي الورق الهيف .وكفى برمَّانها حقاق ياقوت، وأمير قوت ، وزائراً غير ممقوت، إلى المؤاساة، وتعدد الأساة وإطعام الجائع والمساهمة فى الفجائع، وأي خُلُق أسرى من استخلاص الأسرى، تبرز منهم المخدَّرة حسري ، سامحة بسواريها ولو كانا سواري كسرى، إلى المقبرة التى تسرح بها العين، ويستهان في ترويض روضاتها العين ،إلى غُللها المحكمة البنيان ، المائلة كنجوم السماء للعيان، وافتراض سكناها أو أن العصير على الأعيان ، ووفور أولي المعارف والأديان"[١٣].

ويستمر الكاتب في سرد مميازات الوطن الخاص(المرية)، من خلال عرضه لما تتمتع به هذه المدينة من موقع جغرافي متميز، جعلها تقع بين البحر والبر، وهو ما كان له دور في تنوع وسائل الدفاع عن نفسها بامتلاكها أسطولاً ضخمًا والعديد من الآلآت الحربية، بجانب كثرة العباد والنساك بها وهو ما ساعد على قوة ورسوخ الوازع الديني لدى أهل الوطن الخاص (المرية) ،كما تعددت الزراعات بها فكثر الكتان، والعنب، والزيتون، بجانب شهرتها بالرخام ، مما أدى إلى جعل هذه المدينة قبلة للتجار من كل اتجاه، وهو ما أظهره الكاتب في قولة: **" فقلت فمدينة المرية[١٤] قال المرية ، هنية مرية ،بحريّة بريّة، وأصلية سرية ، معقل الشموخ والإباية ، ومعدن المال وعنصر الجباية، وحبوة الأسطول غير المعلَل بالنصر ولا الممطول،ومحط التجار ، وكرم النِجار، ورعْى الجار، ما شئت من أخلاق معسولة، وسيوف من الجفون السود مسلولة، وتكك محلولة، وحضارة تعبق طيباً ووجوه لا تعرف تقطيباً، ولم تزل مع الظرف دار نُسَّاك، وخلوة اعتكاف وإمساك . أرغم أهلُها أنف الصليب لما عجم منها بالعود الصليب ، وأنف لامها وألفها حكم التغليب فأنقلب منها آيساً عند التقليب . بحرها مرفأ السفن الكبار، وكريها هو العزيز عند الاعتبار، وقصبتها سلوة الحزين ، ومودع الخزين ، وفلك المنتزين ، وهي محل الحلل المجدبة والأردية المشفوعة الأردية ، ولواديها المزية على الأودية ، حُجَة الناظر المفتون، المكسو الخصور والمتون بالأعناب والزيتون . بلد الكتّان والرخام ، والذمم الضخام ، وحَّمتُها بديعة الوصف، محكمة الرصف مقصودة للعلاج والقصف. حرّها شديد ، وذكرها طويل مديد،**

---

[١٣]- خطرة الطيف (رحلات فى المغرب والأندلس) تأليف: لسان الدين ابن الخطيب ،تحقيق وتقديم : د/ أحمد مختار العبّادي، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر _ بيروت، الصنايع، بناية عيد بن سالم، ط١ ، سنة ٢٠٠٣م ، صـ٧٤ _ ٧٥ _ ٧٦ .

[١٤]- المرية : مدينة أندلسية مُحدثةٌ وهى من أشهر مراسي الأندلس وأعمرها ، ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري ،الناشر: دار الجيل ، بيروت _ لبنان، ط ٢، سنة ١٩٨٨م، صـ١٨٣: ١٨٤ .

وأثرها على البلاد جديد إلا أن مغارمها ثقيلة، وصفحة جوّها في المحول صقلية، وسماؤها بخيلة، وبُروقها لا تصدق منها محلية ، وسعرها ليس من الأسعار غير الوطية، ومعشوق البُر بها قليل الوصال ، وحمل البحر صعب العضال، وهى متوقعة إلا أن يقي الله طلوع النضال، وعادة المصال "[١٥].

ومما سبق نلحظ أن النص يحمل عدة دلالات تبرهن على براعة وإسهاب الكتاب في وصف الوطن الأندلسي الخاص والعام، وهو ما يؤكد ترسخ الانتماء للوطن لدى الكاتب ،حيث قدّم وصفاً دقيقاً لطبيعة الوطن الأندلسي الخاص (مالقة_ المرية)، معددا الفضائل القتالية التي تتميز بها هذه المدن الأندلسية، وهو ما يعكس مدى قوة وكفاءة تلك المدن من الناحية القتالية ، كما ظهرت النزعة الدينية التي دلل بها الكاتب على مدى عمق الإيمان لدى الأندلسيين وخاصة أهل الوطن الخاص (مالقة_ والمرية)، والنص في مجمله يعد صورة من صور الوطن الأندلسي في أوقات الرخاء ، والتي اهتم الكتاب بإبرازها في مجال المفاخرة بأوطانهم، وكل هذا يمثل صوراً متعددة للوطن الخاص في حالة الرخاء.

من المظاهر الحضارية القديمة التي تؤكد ارتباط الأندلسين بأوطانهم، وتدل على نمو الشعور الوطني لديهم، شكر الله على سقوط المطر بعد تعرض البلاد الأندلسية للجفاف، ووصف ماحل على الوطن من النماء والخير نتيجة هذا الغيث، وهو مايشير إليه الدكتور/ عبد الحميد شيحه: إذ يؤكد على توظيف الأندلسين لظاهرة الدعاء بالسقيا بما يتناسب معهم، حيث استخدموها في الرمز إلى حب الوطن ومكانته في نفوسهم، على الرغم من أن الأندلس كانت تجري فيها الأنهار إلا أنهم اتخذوا من هذه الظاهرة العربية القديمة دلالة على الاعتزاز بأوطانهم"[١٦]. ومن أمثلة ذلك خطبة (ابن أبى الخصال)، التي قالها في شكر الله على نزول المطر وتغير صورة الوطن من الجفاف إلي النماء والحياة، حيث اعتمد في بداية خطبتة على وصف مشهد الوطن المجدب بعد تعرضه للجفاف بكل ما فيه من الكائنات، والتي أوشكت على الانتهاء نتيجة اشتداد الجدب داخل الوطن حيث يقول: **"ولَّما لقحَتْ حَرْبُ الْجَدْب عَنْ حِيال، وأشفَقَ رَبُّ الصَّريمَةِ والعِيال، وتَنَادى الْجِيرانُ للتَّفَرُّقِ وَالزّيال،وَتَناوَحَتْ فِي الْهُبوب ريحا الْجَنُوب وَالشَّمال، وتراوَحَتْ على القُلوبِ راحَتا اليمينِ والشِّمال، وأُخْضِرَتْ أنفُسُ الأغنياءِ الّحَّ، وَوَدّوا أَلاَّ تنشأَ مُزْنَةٌ ولا تسُحَّ، وتوهَّمَ خازنُ البُرّ، أنَّ صاعَهُ يَعْدِلُ صاعَ الدُّرّ، وخفَّتِ الأَزواد، وماجَتِ الأَدْواد، والتقَتِ الرُّوّاد ،وانتجعت العازِبَ القَصِيّ، فألقَتِ العِصيّ، وصَدَرَتْ**

---

[١٥]- خطرة الطيف ، لابن الخطيب ، صـ٨٠ : ٨٦ .

[١٦]- الوطن فى الشعر الأندلسي، تأليف: د/ عبد الحميد شيحه، الناشر: مكتبة الآداب_ القاهرة ، ط١، صـ٧٠: ٧١.

بِحَسَراتها، وقد أسلَمَتْ حَراتِها، وآضَتْ كلُّ قُنَّةٍ فَرْعاء ، وهضبَةٍ دَرْعاء، صفاةً وَهَباء، وَنُقْباً وهِنَاء، والصُّبْحُ في كلِّ أُفْقٍ قِطْرٌ أو قِطْرٌ أو قِطْع، والأَرضُ كلُّها سَيْفٌ ونِطْع ،والسَّعْرُ يشمّر ذيلَهُ للنّفاق، ويُضَمِّر خَيْلَهُ للسِّباق، وجاءَ الجدُّ وراحَ الْهَزْل، وقُلْنا: هذهْ الشّدَّة هَذا الأَزْلُ وللْمُرجِفينَ في المدينةِ عَجاجَةٌ ظنُّوها لا تُلبّد، وقسيٌّ نَحْوَ الغُيوبِ تُعْطَفُ وَتُكَبّد، فما يسقطُ السّائلُ منهم إلاَّ على نابٍ يحرُق، وشهابٌ يبرُق، حتى إذا عقَّدوا الأَيْمان، وأَخذوا بزعمِهمُ الأمان، وَقالوا لا يُطْمَعُ في الغَيْث، وزُحَلُ في اللَّيث ، وأَيضاً فإذا فارَقَ الأسَدَ، أكَّدَ ما أَفْسَدَ، أَنْشَأَ اللهُ العَنانَ، وقالَ لهُ كنْ فكان، فبينما النُّجومُ دَراريُّها الأَعلام، وأغفالُها الَّتي لا تُحْمَدُ عندَهُمْ ولاتُلاَم، قد اختَلطَ مَرْعيُّها بالْهَمَل، ولم تَدْرِ الشَّءُ بالْحَمَل، ولا عَلِمَ الجديُ بالرِّئْبال، ولا أَحسَّ الثَّوْرُ بالأَمي ذي النِّبال ، إذ غَشيَتْها ظُلَلُ الغَمام، وحَجَبَتْها أَستارٌ كأجنحةِ الْحَمام، أَخَذَتْ عَلَيْها في الطُّروق، مصادِرَ الغروبِ وموارِدَ الْروق ،فما منها إلاَّ مقنَّعٌ بِنَصيف، أو مزمَّلٌ في بجاد حَصيف، لم تُتْرَكْ له عَيْنٌ تطرف ولا نقبةٌ تطَّلعُ منها أو تُشْرِف ، فباتت بين دِرَرٍ متداركةِ السُّقوط، ودُرَرٍ متناثِرَةِ السُّموط،و دِيَمٍ منحلَّةِ الْخُيوط، وجُيوشٍ مَنْصورَةِ الأَعْلام ، ثابتَةِ الأَقْدام، وكتائبَ صادقَةِ الْهُجوم، صائبَةِ الرُّجوم، تطلُبُ المحلَّ بين التُّخومِ والنُّجوم، وما زالَتْ ترميه، بأَحجاره، وتَحْتَرشُهُ في أَجْحاره، وتَغْزوهُ في عِقْرِ داره، حتَّى عفَّت على آثاره، وأخَذت للسَّهْلِ والْحَزْنِ بِثاره"[١٧] .

وهكذا رسم ابن أبي الخصال صورة الوطن من خلال مشهد الطبيعة الأندلسية، أثناء الجفاف وقبل سقوط المطر، حيث عدد المشاهد السلبية التي أصابت الأرض والحياة أثناء الجفاف، وقد استطاع الكاتب أن يمزج الحقيقة بالخيال من خلال رسم صورة بيانية عالية قد تميز بها ابن أبي الخصال. ثم يستمر الكاتب في سرد وتصوير مشهد سقوط المطر، حيث كان تلك المشهد سبباً في عودة الحياة مرة أخرى لكل ما يشتمل عليه الوطن من كائنات حيه، حيث انعكس هذا المشهد على الإنسان والحيوان والنبات،

فيقول: **"فيا أيُّها الْمُؤمنُ بالْكواكِب، أُنظر إلى الدّيَمِ السَّواكِب ،واسبَحْ في لُجَجِ سيولِها، وارتَعْ في مَجرّ ذُيولِها ،وسبِّحْ باسمِ ربِّكَ العظيمِ الَّذي (قَذَفَ بالحقّ على الباطِل) ، وأَعادَ الْخُلِيَّ إلى العاطل، فيرودُ الظَّواهِرِ وثُغورُ الأَزاهِرِ مُفْتَّرة ، ومَسرَّاتُ النُّفوسِ مُنتَشِرَة، والدُّنيا ضاحكةٌ مُسْتَبْشِرَة، وأَرواحُ الأَدْواحِ جائِلَة، وأَعطافُ الأَغْصانِ مائِلَة، وأَرْواقُ الأَوْراقِ تفضَّل، وأَجنحة الظلال تُراش وتوصَّل، وخُطَباء الطّير تروي وتُحَبِّر، وشُيوخ مُحارِبَ تُهلِّل وتكبِّر، وإنْ مِنْ شيءٍ إلاّ يخضَعُ لجبروتِه، ويَشْهَدُ لملكوتِه، وتلوح الحِكْمَةُ ما بَيْنَ منطِقِهِ وسُكوتِهِ، فأَمَّا الخطاطيفُ فَقَدْ سَبَقَ**

[١٧] رسائل ابن أبى الخصال، د/محمد رضوان الداية ، الناشر: دار الفكر ـ دمشق، طـ١، سنة١٩٨٨م، صـ٢٧٢: ٢٨١ .

هاديها، ونَطَقَ شاديها، وتراجَعَ شُكراً للهِ باديها، فَعشٌّ يُرَمّ، وَلَبنَةٌ إلى أُخرى تُضَمّ، وشَعْثٌ يُلَمّ، وبَدأةٌ تُوَفّى وَتُتَمّ، وكأنّها حنَّت نَحْوَ الْمَشاهِد، وسابَقَتِ اللَّقالِقَ إلى الْمَعاهِد، فضلّت اللّقالقُ بَعْدَها نزارعاً وسقَطت على آطامها أَوزاعاً، وأجدَّتْ قَطاعاً، وأجابَتْ أَمراً من الخِصْب مُطاعاً، وحازَتْ مِنَ الحدائِقِ والبَساتِينِ إقطاعاً؛ وَسَيُغَرِّدُ في رَوْضَتِهِ الْمُكَّاء، ويضحِكُه هذا الوابلُ البَكَّاء، وترومُه فلا تَلْحَقُهُ ذُكاء ، نَجَتْ بِه مِنَ الأفنانِ النّاعِمَة قِلاص، وأحصَنَتْهُ من الْخُضْرِ التُّبَّعِيَّةِ دِلاص، فالوَيْلُ لأَهْلِ الأَقوالِ المنكَرات، والنَّيْلُ لأَهْلِ الثّناءِ والْحُمُرات الْمَرْعى وَالسّعدان ،وأرض بكواكِبِ النَّوْرِ تَزْدان، وبقاعٍ تَدِيْنُ الغَيْثَ كما تُدان.فمن نَرْجِسٍ تَرْنو الرَّوابي بأَحْداقِه ،وتستعِيْرُ الشَّمْسُ بهجَةَ إشْراقِه، ويودُّ الْمِسْكُ نَفْحَةَ انْتِشاقِه، ويحسُدُ السُّنْدُسُ خُضْرَةَ ساقِه ، ويتمنَّاهُ الْحَمامُ بَدَلاً مِنْ أَطواقِه، كُحْلُهُ ندًى يَتَرَقْرَق ، وَنَوْمُه أن لا يزالُ يُوَرَّق وَمِنْ عَرارٍ بَنَى مطالِعَهُ عَلى غِرار، وكَلِفَتْ به السَّوارِي والغَوادِي كَلَفَ عَمْرٍو بِعرار، فجاءَ كَسَوالِفِ الغيد تَرِفُّ، وكَوَمِيضِ الثُّغورِ يَعْبَقُ ويشِفُّ. وَمِنْ أقحوانٍ حُذِيَ على الثَّنايا الغُرّ، وسُبِكَ مِنْ ناصِعِ الدُّر، يُقبِّلُه النَّسيمُ فَيَعْبَق، ويُصْبَحُ الْجَوُّ بماءِ نَضْرَتِهِ وَيُغْبَق ، ويَسْتَقْبِلُهُ ناظِرُ الشَّمْسِ فيشْرَقُ"[١٨] .

ثم يلجأ الكاتب في آخر الخطبة إلى وصف مشهد يستدعي في ذهن المتلقي الحالة التي آل إليها الوطن الأندلسي بعد أن غمرت المياه الأرض، حيث ساد الفرح في النفوس جميعها، فالأغصان تتراقص والطير يلوح بأجنحة فرحاً وصوت الضفادع يعلو تسبيحاً لله تعالى، ثم يختم نصه بالدعاء والثناء والشكر لله في مشهد إيمانى تتجلى فيه النزعة الدينية لدى الكاتب .فيقول: **" اللّهمَّ بارِىءَ النَّسَم، ودارِىءَ القِسَم، وناشِرَ الرَّحمةِ والنِّعَم، ومُنْزِلَ الدِّيَم، وباعِثَ الرِّمَم، ومحييَ الأُمَم ، فإنّا نؤمِنُ بِقَدَرِكَ خيرِهِ وشرِّه، ونطوي غيبَكَ على غَرِّه، ولا نتعرَّضُ لِنَشْره، حتى تأذَنَ بنَشْره، ونعتَقِدُ ربوبيَّتَكَ كلَّ الاعتِقاد ،ونبرأُ إليكَ من أهلِ المروقِ والإلحاد، ونَسْتزيدُك من مصالِحِ العِباد، ومنافِعِ البِلاد. رِزْقُنَا لَدَيْك، ونَواصينا بِيَدَيْك، وتوكُّلُنا علَيْك، وتوجُّهُنا إلَيْكَ. لا نُشْرِكُ في غَيبكَ أَحَداً، ولا يَجِدُ عَبْدٌ من دُونِكَ مُلْتَحَداً، تبارَكْتَ وتعالَيْت، وأَمَتَّ الحيَّ وأحيَيْتَ المَيْت، لا هادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ ولا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْت، فاكْفِنا فيمَنْ كَفيت، وتولنا فيمَنْ تولَّيْت ، إنَّك تَقْضي ولا يُقضى عَلَيْك."[١٩] .**

لذا فإن الأحداث السياسية والاجتماعية التي ألمت بالأندلس كان لها الفضل في إظهار ونمو مشاعر الحب والحنين إلي الوطن لدى الأندلسين، وخاصة في الأوقات التي كانت توشك فيها أوطانهم على الضياع والسقوط ، حيث أصبح للوطن قيمة كبرى في

---

[١٨]- المرجع نفسه ، د/محمد رضوان الداية ، صـ٢٧٦: ٢٧٩ .

[١٩]- المرجع نفسه، د/محمد رضوان الداية ، صـ٢٨١.

وجدان وشعور الأندلسين عامة ، أما على الجانب الأدبي والإبداعي فقد لجأ الأدباء إلى ترجمة هذا الشعور الوطني من خلال إبداعهم الشعري والنثري ، مدللين بذلك على أهمية مكانة الوطن في نفوسهم.

وفي جانب آخر عبر الكتاب عن صورة الوطن من خلال مظاهر الطبيعة من حيث المطر والزرع والفواكه والأزهار، حيث جاءت تلك الصور الناعمة معبرة على حالات العشق والحنين للوطن بشقيه العام والخاص.

سوء الاحوال الاجتماعية في الأدب الأندلسي

تعتبر تجربة الاغتراب لدى الأندلسيين تجربة مستمرة رافقتهم طوال مدة الدولة الإسلامية في الأندلس وحتى سقوطها، إذ تنوعت أشكال الغربة وأسبابها لديهم في شتى العصور التاريخية التي مروا بها، وفي هذا الشأن إشارة إلى ما يعرض له الدكتور/ عبد الحميد شيحه ،عن تقسيم الغربة لدى الأندلسيين إلى غربة اختيارية وأخرى اجبارية[٢٠]، وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن غربة الأندلسيين التي فرضتها عليهم سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية القاسية، مما دفعهم إلى الشكوى من هذه الأحداث حيناً والاغتراب وترك الوطن إلى وطن آخر ينعمون فيه بالعيش ورغد الحياة حين آخر، باحثين عن المال والرزق الوفير، ومتحملين من أجل ذلك ألم الفراق والبعد عن الأوطان، وهم في ذلك يتخذون قول الشاعر نبراثا يهتدون به حيث يقول:

الفقـــر في أوطاننا غربة والمال في الغربة أوطان
والأرض شيء كلها واحد والناس إخوان وجيران[٢١]

وعلى هذا النحو السابق فالشاعر يساوي بين حالة الغربة عن الوطن وبين البقاء في الوطن في ظل تحمل سوء الأحوال الاقتصادية ، فالحالتان عنده سواء؛ لأنه يعاني من نفس الألم في كلا الحالتين ، إلا أنه يفضل أن يتحمل الآم الغربة عن الوطن في مقابل المال. ويميل الباحث إلى عدم الاتفاق مع هذا المقصد الذي نزع إليه الشاعر، إذ إن قيمة الوطن لا تتساوى والقيمة المادية ، فمهما يعترض الإنسان من عثرات داخل وطنه لا تتساوى مع عثرات الغربة عن الوطن ، والدليل على ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم معلم البشرية ضرب لنا أروع مثالًا يُحْتذى به في التمسك بالأوطان مهما عصفت بنا الأزمات، وذلك حين قال وهو واقف على أبواب مكة تاركها بعد أن أخرجوه منها : **" والله إنك لأحب أرض الله لي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت"** فرسولنا الكريم لاقى من الإيذاء ما لاقى، إلا أننا نجده يتمسك بوطنه ولا يخرج منه إلا بعد إصرار أهله على إخراجه، ثم تمضي السنوات ويعود الرسول مرة أخرى إلى وطنه

---

[٢٠]- صورة الوطن فى الشعر الأندلسي، د/ عبد الحميد شيحة، صـ٦٦ .

[٢١]- معجم السفر، للحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي ، تحقيق: عبد الله عمر البارودي ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، سنة ١٩٩٣ م ، صـ٣٣٨ .

مسجلاً أفضل مشهد للعفو والصفح عن أهل وطنه، والذي يعطي لنا قيمة حقيقية لحبه لوطنه ،عندما عفا عن أهل مكة حباً لهذا الوطن فقال لهم "اذهبوا فأنتم الطلقاء" وهذا دليل على أن معلم البشرية وقائدها كان محباً لوطنه على الرغم مما تعرض له من الإيذاء، فهو رحل عن وطنه إلا أن وطنه لم يرحل عن وجدانه صلى الله عليه وسلم.

كثيرا ما توالت وتكررت غربة الأندلسيين عن أوطانهم بسبب الأوضاع السياسية بحثاً عن المال وطلباً للرزق الوفير وطيب العيش لأسرهم خاصة الكتاب فمن هؤلاء (ابن المنفتل)[٢٢]، الذي يوضح سبب غربته عن وطنه بقوله في رقعة خاطب بها (ابن النّغريلّي الإسرائيلي)[٢٣] فيقول: **" مَن فهمَ عن الزمان وخُلُقِهِ ، ورفلَ في جَديده وخَلقهِ، وعَلِمَ أنه يستأصِلُ ريثما يواصل ، ويقصِمُ غِبَّ ما يقسم، لم يُبالِ بوقع سلاحهِ، ولا استعدَّ لوقتِ استصلاحِه، ولمّا أغصَّني بالرّيق ، وحفزني بالمضيق، ولم يترك همّاً إلاَّ سنّى عَقده، ولا نظماً إلاَّ نثرَ عِقدَه؛ ورأيتُ الاستحالة في الحلِ ، والعَيلةَ في العيال، وجَدّاً قد جَدَّ فجاءَ من المُصَلّين، وساهمَ فكان من المُدحَضين، هيّأتُ راحلةً وأثاثاً، وطلّقتُ ابنة الوطن ثلاثاً، وقلتُ إمّا أن أجدَ فأظهر، أو أموتَ فأُعذَر؛ فكم من حُرَّةٍ سافرة القناع، تندُبُني موقِتَ الوداع، وباكيةٍ يومَ الرَّحيل، بُكاء الحَمام على الهديل؛ فقد فقأتُ عينَ السّرى، بأربعٍ كقداح السَّرا، يتشبّثون بالآكام ، تشبُّثَ الخصومِ بالأحكام؛ ويتعلّقون بالمطيّ ، تعلّقَ الأيتام بالوصيّ، إلى أن أخضلت الدموع المحاجر، وبلغت القلوبُ الحناجر؛ وجعلتُ أعوذُهنّ بالمثاني، وأبسطُ لهنّ في الأماني، وأقولُ: ستنسين هذا الموقف، إذا اتصلتنَّ بإسماعيل بن يوسف، فتى كرُمَ خالاً عمّا، وشرَحَ من المجد ما كان مُعَمّى، قُسّاً فصاحة، وكعباً سماحة، ولقمان غلما ، والأحنفَ حلما. وأكرم همّةً من همّام، وأعظم بسطةً من بسطام؛ إن خاطَبَ أوجَز، وإن غالَبَ أعجَز، أوجادَ أجاد، أو وعدَ أعاد؛ يأمر ويَمير، ويأجُرُ ويجير؛ مأوى السّماح والضيَّف، ورحلةُ الشتاء والصيَّف؛ حامي الذّمار، بعيدُ المضمار؛ لا يظلمُ نقيراً، ولَا يُخيّب فقيراً: يحافظُ على صِلاته، حفظة لصلاته، ويحنُ إلى البذل، حنين الغريب إلى الأهل "**[٢٤].

ومما هو جدير بالذكر ما نلاحظه في النص السابق من صور متعددة تشير إلى

---

[٢٢]- هو: أبو أحمد عبد الْعَزِيز بن خيرة المنفتل، شاعر كاتب أديب محسن، من أَعْلَام شعراء إلبيرة فِي مُدَّة مُلُوك الطوائف، ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، (ص٣٩٠)، المغرب في حلى المغرب، (٢/ ٩٩)، الذخيرة ، ق١ ، ج١، صـ٧٥٤: صـ٧٥٥.

[٢٣]- ابن النغريلي الإسرائيلي: يطلق على اثنين مشهورين هما صموئيل بن يوسف (إسماعيل أو أشوال بن يوسف) ويوسف ابنه، وقد كان إسماعيل عالماً ووزيراً لصاحب غرناطة، وخلفه ابنه (يوسف) فأساء التصرف ، فثار عليه الناس وقتلوه. انظر الذخيرة ج١،صـ٧٦١ .

[٢٤] _ الذخيرة ، لابن بسام ،ق١، ج٢ صـ٧٦١: ٧٦٢.

مدى تعلق الكاتب بوطنه الخاص، ونستطيع أن نشير إلى عدة معاني نجملها فيما يأتي:

- يوضح النص مدى سوء الأحوال الاقتصادية التي عانت منها الأندلس نتيجة تدهور الظروف السياسية المضطربة في العصر الذى عاشه الكاتب.
- يصور مشاهد التشريد والغربة التي عانى منها الأندلسيون والآثار التي ترتبت عليها من القلق والاضطراب النفسي الذي أصابهم.
- تصف الرسالة للمتلقى مشهد الحزن الذي أصيب به الكاتب عندما أكره على مغادرة وطنه، ومفارقة أهله.
- من الناحية الفنية تأثر الكاتب بحالة الحزن التي خيمت عليه، نتيجة مفارقة الوطن فانعكس ذلك على الدوال اللفظية التي صاغها داخل نصه، كقوله (ويتعلقون بالمطي تعلق الأيتام بالوصي) ، و(يتشبثون بالآكام تشبث الخصوم بالأحكام) فضلاً عن الجوانب الموسيقية فيه.

إذن فالنص في مجمله يعطي صورة واضحة عن بقاء قيمة الوطن في وجدان كتاب الأندلس، حتى وإن اضطرتهم الحاجة إلى مغادرته فهو باقٍ في وجدانهم. وعندما تشتد الأمور الاجتماعية تدهوراً نجد لونًا آخر من ألوان الإحساس بالغربة يظهر جلياً لدى أدباء الأندلس، ففي بعض الأحيان كانت توجد رسائل للشفاعة لبعض المعثرين ماديا تجنبًا لوقوعهم في غربة السجون وترك أسرهم بسبب سوء الأحوال الاقتصادية، وهذا النوع من الرسائل ظهر ليدعو إلى تقويم اعوجاج المجتمع الأندلسي في محاوله للإصلاح والحفاظ على الوطن الذي أصابه الخلل الاقتصادي والاجتماعي، وغاب عنه في أغلب الأوقات مبدأ التكافل الاجتماعي، والذي تسبب في غربة أهله وهم داخل أوطانهم إلى الحد الذي جعل هذه الآفة تصيب رجال الدين (المؤذنين)، وفي ذلك يقول (ابن ابي الخصال) في رسالة كتبها إلى أحد الفقهاء لمساعدة (أبي إسحاق) المؤذن فيقول : **"أطالَ اللهُ بقاءَ الوزيرِ الفَقيه الأجلّ القاضي، موطّأةً أكنافُه، مقرطسَتةً أغراضُه وأهدافُه، عتيدةً أنصارُه وأحْلافُه، مُباهيةً به خُلطاؤُه وأُلّافُه؛ ولا زالَ مَثوى العائل الْمُضطَرّ، ومأوَى الطّارِقِ الْمُعْتَرّ. المؤذّنونَ_ أدامَ اللهُ نَصرك_ قد ورَد فيهم الأَثرُ المرويُّ ، والْخَبرُ الواضِحُ الْجَلِيّ، وهم_ وإن كانُوا في الأُخرى أطولَ النَّاسِ أعْناقاً _ فَهُم في الدُّنيا أضيقُ النّاسِ أرزاقاً ، وأضعَفُهم أذْماءً وأرْماقاً . مأكَلُهم رَشحٌ، وشرابُهم على الشّهامة في النّهامةِ نشحٌ، ونومُهم غِرار، وليلُهم حراكٌ، وليلُ النّاسِ سكونٌ وقَرار، يحدونَ الشّفَق ويسيرونَهُ ، ويَرْبَؤُونَ الفجرَ فَيُثيرونه؛ ويحلُّونَ عُقَدَ الشّيطان، ويُرسلون على العُتاةِ الْمَرَدةِ رُجومَ السُّلطان ، ويحصرون الدّهر السَّارِب إلى التّحريد والأوزان. فما تعبُر بهم ساعةٌ، إلاّ ولهم عليها سِمَةٌ أو طاعَةٌ؛ ولا يَمضي من الليل هَدْءٌ إلا ومنهم في ذكرِ اللهِ تعالى عَوْدٌ وبَدْء، فكلّهم**

يكلأُ اللَّيْلَ ويتمَلْمَلُ تَمَلْمُل السَّليم، ويَتَعارّ_ والنّاسُ في سَكراتِ السُّباتِ_ عرارَ الظّليم. وهذهِ مَنْقَبَةٌ لهم بها مرتبةٌ عاليةٌ ومَرْقَبة؛ ورُبّ قتيلٍ جَنح من نَجِيّ، وغريقٍ من الظلماء _في بحرِ لُجّيّ) ، يكيد بنفسِه حَذراً،ويلفظُ حشاشته سَهراً؛ قد ثَوَّبَ بهِ منهم داعٍ، ونفى قَاتِلَهُ بالأذان ناعٍ. فقام مُنتعشاً، وهبَّ مَسْرُوراً بهشاً، قد أيْقَنَ بالنّجاة، وظَفرت يَدُه بساحلِ الحياة. أوَ ليست نفساً من طَلَّها طَلّ نجيعاً ومن أحياها: فكأنّما أحيا النّاسَ جَميعاً؟، والمؤذِّنُ أبو إسحاق_ مُؤَدِّيها، سَلّمَهُ الله!_ مُختصٌّ من هذِه الفضيلةِ بِسماتٍ مَشْهورة، وأصواتٍ مَذكورة، ونَغماتٍ كنغماتِ أبي مَحذورة؟، ويَمُتّ إلى بساطِ القاضي الأجل أبي سعيد_ أدام اللهُ توفيقَهُ_ بخدمةٍ وسِدانةٍ، وتبذّل بين يَدي كلّ ذي قدرٍ مِنكم وصيانة. وهذا ذِمامٌ عند مثلك من الزُّعماء والجلّة العُظماء : يُدْني من البِرّ، ويُسَنّي حَظّه من البُرّ. فلولا عَدمُه، لَمَا سَعت قَدمُه؛ ولولا أمعاؤه لما طال نِداؤُه ودُعاؤه! وقد تقحّم نحوكَ لَفْحَ الهَجير، وألقى بيدِ الْمُستغيث المستجير، ولغيره زكاةُ جَمال وجِمال، وله فضلةُ جاهٍ أو مال ، ووراءَهُ عِيالٌ، وأُمٌّ عيال. لا زلت تجبرُ مهيضاً، وتعتقدُ في اعناقِ الرجالِ النِّعَمَ بِيضاً، بحولِ الله، وأقرأُ عليكَ_دامَ عِزُّكَ_ أعمَّ السَّلام نشراً، وأذكاهُ فَوْحاً، وأنداهُ بِشْراً. ثم السَّلامُ المردَّدُ المؤكّد عليك ورحمةُ اللهِ وبركاتُه. وبمثلِهِ أخُصُّ جميعَ قرابتكَ وأدانيك، وأهْلَ حَضرتكَ ونادِيتكَ، أعَزَّهُم الله"[٢٥].

وعلى هذا النحو يشير النص السابق إلى :

- تدهور الأوضاع الاقتصادية حتى لحقت بأفضل فئات المجتمع الأندلسي وهم المؤذنون، مصوراً ما أصابهم من ضيق الأرزاق والحياة.
- وصف الكاتب لحالة (أبي إسحاق) وهو من أشهر وأجود المؤذنين، حيث يصف ما أصابه من الجوع والضيق، وهو ما جعله يستغيث ويستجير لإنقاذه وإنقاذ أسرته من الموت المحقق لما يعانيه من سوء الظروف المعيشية.
- جاءت الرسالة قصيرة وموجزة في مبناها، لكنها معبرة في معناها، حيث جاءت الألفاظ والعبارات مناسبة لحالة الحزن التي استحوذت على الكاتب لما حل على الوطن.
- أظهرت الرسالة براعة الكاتب من خلال تجنبه استخدام التنميق البديعي، حيث إنه تناول الموضوع بشكل من المباشرة دون اللجوء إلى المقدمات الطويلة.

هكذا تبدوا صورة الوطن في عين كتاب الرسائل التي اضطرتهم سوء الأحوال الاجتماعية والمادية إلي اللجوء لهذا النوع من الرسائل التي تعكس صورة الوطن في فترات التدهور السياسي وما يتبعه من تدهور اقتصادي، كان له بالغ الاثر في غربة

[٢٥]- رسائل ابن ابى الخصال، محمد رضوان الداية، صـ ٤٤٩: ٤٥٢ .

الأندلسين عن أوطانهم. وعندما يتفاقم الخطر وينتشر الفقر يُصاب المجتمع بالكثير من الآفات والأمراض الاجتماعية التي تهدد بقائه، وهذا ما حدث داخل المجتمع الأندلسي، فبعد أن اضطربت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ظهرت آفة (التسول) وهو ما يصوره (ابن حيان) في فصل من رسالته حيث يصف رجلاً كان يتسول قائلاً: **"وصدَرَ فلانٌ مع أصحابه الرُّسُل، وقد امتلأت حقائبه مما قمَّشَهُ من السُّحت ، بضروب الكدية والشَّحذ، وبخلَ حتى بالزاد المأدوم في الطريق ، وضنّ به على الطريق، وأشرج عليه الجوالقات تأميلا في توصيله للبيوت في حمارَّة القيظ حتى زَنخَ، فكان أحرص الوفد_زعموا_ على قمش ذلك السحت وأغوصهم على استخراجه ، وأشرهم إلي التعرض بطلبه ، فلان منهم الولي اللوام العاطل من كل حلية جميلة تدلّ على فضيلة فإنه حُملت عنه في ذلك أخبار، إلى زيادة مساو فيه غَضَّتْ ممن أرسله وصرفه "**[٢٦].

استطاع الكاتب في القطعة النثرية السابقة أن يلقي الضوء على مدى انعكاس سوء الأحوال الاقتصادية على المجتمع الأندلسي، فهو بذلك يعطي للمتلقي بعض الصور لوطنه الذي أصابته أخطر الأمراض الاجتماعية التي كانت سببا في سوء أحواله واضطرابه لفترات معينه.

وعلى هذا النحو كان الكتاب يشيرون إلي بعض الصور المتردية للحياة الاجتماعية في رسائلهم وهى في الواقع انعكاس لصورة الوطن الأندلسي في بعض مراحلة التي أُصيب فيها بالتدهور والضعف وخصوصاً في عصر ملوك الطوائف وتلك صور خشنه من صور الوطن في حالة العسر والضيق الاجتماعي.

دلالات النفي عن الوطن والأهل وآثارها

تعد ظاهرة النفي أو السجن من مظاهر الغربة النفسية التي كثيراً ما أصابت الأندلس في ظل الاضطرابات السياسية وتردي الأحوال داخل المجتمع الأندلسي، فتزايدت السجون وظهر النفي والقمع حتى أصبحت الحياة مصدراً للقلق الدائم، مما أدى إلى استحالة العيش في الأمن والاستقرار إلى الحد الذي جعل الكتاب أنفسهم يتعرضون للنفي والسجن فتحيطهم غربة داخل أوطانهم، مما فجر شعورهم بالحنين للوطن فتعدد انتاجهم من الفنون النثرية ما يعكس صور معاناتهم داخل السجون ، فنجد أحد الكتاب البارعين وهو (ابن الدباغ)[٢٧]، يصور لنا غربته في المنفى حيث يبدأ بمقدمه امتزجت فيها الشكوى بسبب الاغتراب عن الوطن بسوء الأحوال وتقلبات الدهر عليه طوال حياته، إلا أنه مع كل هذه التقلبات يعلن شوقه وحنينه للرجوع إلى وطنه، حيث يقول: **" أَوْحِشْ**

---

[٢٦] _ الذخيرة، لابن بسام ، ق١، ج١،صـ٥٩٤.

[٢٧]- هو الوزير الكاتب أبي المطرّف عبد الرحمن بن فاخر المعروف بابن الدباغ ،كان من إشبيلة ورحل عنها بعدما تشاد مع ابن عمار ،حيث امر المعتمد بان ينفى ابن الدباغ بسبب مخالفته للمعتمد ، تنظر ترجمته: الذخيرة ق٣، ج ١، صـ٢٥١: ٢٥٣ .

بِأَيَّامٍ أَقْطَعُهَا وَأُفْنِيهَا، وَأَثْوَاب عَيْشٍ أُخْلِقُهَا وَأُبْلِيهَا، بِحَيْثُ لَا أَرَاكَ عِيَانًا، وَلَا أَمْلِكُ مِنْ أَنْدِيَتِكَ مَكَانًا، حَتَّى أَعْتَزَّ بِكَ مِنْ هُونٍ أُغْضِي فِيهِ عَلَى القَذَى، وَأَصْبِرُ مِنْه عَلَى حَزِّ المدَى، وأَتَمَيَّزُ مِنْ طَبَقَةِ الِاتِّضَاعِ وَالِاسْتِخْذَا، وَأعظم تَلَهُّفِي بِمَاضٍ مِنَ الدَّهْرِ بِغَيْرِ مُسْتَفَادٍ، وَذَاهِبٍ مِنَ العُمْرِ لَيْسَ بِمُسْتَعَادٍ، وَلَيْتَ شِعْرِي أَتُنْجِزُ الأَيَّامُ مَوْعُودًا، أَوْ تُدْنِي مِنَ الأَمَلِ بَعِيدًا، فَتُرْضِيَ بِمَا أَسْخَطَتْ، وَتَعْتَذِرَ بِمَا أَذْنَبَتْ، وَتُنْسِيَ مَضَضَ شِدَّتِهَا بِلَيَانٍ، وَتَمْحُوَ أَثَرَ إِسَائَتِهَا بِإِحْسَانٍ؟!!"[٢٨].

ثم يلجأ الكاتب لإظهار الناحية العاطفية رغبة في استمالة صديقه الذي أكثر له من الشكوى ، مما عصف به الزمان من البعد وهو ما كان سبباً في اصابة الكاتب بالهم والألم النفسي الذي ظهر منذ بداية النص وحتى الخاتمة، حيث يقول: **" مَا تُحَدِّثُنِي بِذَلِكَ نَفْسِي، وَلَا إِخَالُ أَنَّ زَمَانِي يُذْعِنُ بِإِسْمَاحٍ، وَلَا يَزَالُ مُسْتَمِرَّ الجِمَاحِ، وَمَا الحِيلَةُ إِنْ أَبَى سِوَى التَّعَلُّلِ بِالمنَى، وَالِاسْتِرَاحَةِ بِلَعَلَّ وَعَسَى، وَبِودي لو ملكت عن هذه الشكوى لساني، وأمسكت في البوح بها من عناني، وأخذت نفسي بأناتها، وأنظرت الأقدار إلى أوقاتها، حتى لا أسوء ولا أنكد، بما أورد منها وأردد، ولكني والله مغلوب بالاضطرار، معدول عن وجه الاختيار، ومن العجب أني أنوي في كتبي أن تكون من الشكوى خالية، وبزينة التجمل حالية، ولسان الحال تأبى إلا أن تبوح بمضمر السر، وتكشف عن حقيقة الأمر؛ وقد كان لي عنه معزل إلى وصف ما للبين بقلبي من جرح وآثار، وللشوق بين جوانحي من وقود وأوار، فإنه مذهب يجول فيه القول كل مجال، وينثال عليه الكلام أي انثيال، وتتأتى به الألفاظ لازدواجها، وتتراءى المعاني في معرض انتاجها، ولئن لم أبدأ به فإليه قصدت، وإياه أردت، وقد اكتفيت منه بما أتيت، ووقفت حيث انتهيت"**[٢٩].

أما على المستوى الفني فقد أظهر النص براعة الكاتب ودقة تصويره ووضوح أسلوبه من خلال استخدام الدوال التعبيرية التي تجمع بين الوضوح والملائمة للحالة النفسية التي ألمت بالكاتب نتيجة إبعاده عن وطنه الخاص، فالرسالة في شكلها رسالة حنين للوطن، إلا أنها تحمل في معناها الألم والهم النفسي لدى (ابن الدباغ)، إذ إن هموم الذات لدى الكاتب تتعلق بهموم الوطن لأن الوطن يشكل مجموعة من الأفراد، والكاتب فرد وجزء من هذا الوطن. استمر (ابن الدباغ) في الإكثار من شكوى الزمان وما عصفت به الحياة الاجتماعية المضطربة، حيث كان الكاتب كثير الترحال والتنقل بين البلاد، حيث لم يوفق في أي مكان انتقل إليه بسبب كثرة الوشاة والحاقدين عليه، مما انعكس على ذاته فأصابه بالهم والكدر النفسي ، والشاهد على ذلك الرسالة الطويلة التي

---

[٢٨]- الذخيرة ، لابن بسام ، ق٣ ، ج١، صـ٢٥٤ .

٢٩- المصدر نفسه، ق٣،ج١،صـ٢٥٥.

كتبها (ابن الدباغ)، يصف فيها ما حدث له في دولة (المقتدر بن هود) في (سرقسطة) موطنه الأول من وشاية أحد الحاقدين، حيث بدأ الكاتب بتصوير حالة الألم والقلق النفسي التي أحاطته بعد أن نفاه (المقتدر بن هود) عن وطنه (سرقسطة)، حيث يؤكد بأن السبب في اغترابه عن وطنه استجابة (المقتدر بن هود) للوشاية التي نقلها له بعض الحاقدين على (ابن الدباغ)، وذلك لما كان يتمتع به من مكانة رفيعة لدى (المقتدر)، حيث يقول في ذلك:" **كتابي وأنا أسايرُ من هذه النكبةِ غمرةً يتطاولُ مداها ويمتدّ ، وأصابرُ منها محنةً تزيدُ مع الأيام وتشتدّ، وزادني قلقاً ما حكاه لي فلان من خَبرِ المقتدرِ في السبب الذي له جُفيتُ ، ومن أجله أقصيتُ ، وذكر ذنوباً كانت مني، وأقوالاً بلغته عني ، منها تحصيلُ حركاتِهِ وأخبارِهِ، وتحريفُ ما كنت أشاهده في مجلسه الكريم من آثاره، وأراهُ يذهبُ في تعديد ذلك ذهاباً دلَّ على حَرَدٍ ، وأنبأ عن سوءِ مُعْتَقَد، فأزعجني الأمرُ إزعاجاً يقتضيه تغيّرُ رأي مثله من الأملاك، الذين هُمْ كالليلِ في الإدراك ، وكالقضاءِ إذا شاءوا في الهلاك ، ولم أجدْ لنفسي قَراراً على تغيّره، ولا هدوءاً مع تنكّره**"[٣٠]. ثم ينتقل الكاتب إلى وصف حالته وحالة (المقتدر)، بعد أن حدثت الفتنه بينهما، والتي كان الهدف منها إبعاد (ابن الدباغ) عن الوطن والنيل من مكانته لدى (المقتدر)، إذ كانت تلك الفتن ملازمة (لابن الدباغ)، طوال حياته، ثم يبدأ حديثة بمدح (المقتدر) ووصفه بأفضل الصفات والخصال ، وعلى جانب آخر يذم الحاقد ويعدد صفاته الذميمة، والتي كانت سبباً في إثارة الفتنة بين (ابن الدباغ) و(المقتدر) فيقول: "**وقد يجوزُ أن يكونَ للمبلّغينَ في السعاية بلاغاتٌ محرّفة ، واختلاقاتٌ مزخرفة ، تثير بسعيها حَرَجاً ، وتهيجُ أنَفاً؛ فمالي حُرِمْتُ منه ما هو معلومٌ دونَ ملوك العَصْرِ، من سعةِ الحلم وكثرةِ الصَّبر؟ ولم عدمتُ عنده ما هو موصوفٌ به من كظم الغيظِ إذا أَحفظ ، وذكرِ الرضى إذا أُغضب؟ بل كف حتى خُصِصْتُ وحدي من بين العالم ، بأنْ يُصغيَ في جهتي إلى النمائم؟! ولو رزقتُ من تأمّله _ أيده الله_ ما أصغى إلى ذلك الناقل وما أنهاه، إذ الإفكُ ما حكاه ،فلم يك من ذوي الأديانِ فيوثقَ في نقله ، ولا من ذوي النصائح فيقبلَ من مثله**"[٣١].

ويستطرد الكاتب بعد ذلك في الوصف والمقارنة بين حالة الاستقرار التي كان ينعم بها قبل إثارة الفتنة بينه وبين (المقتدر) وحاله بعد وقوع الفتنة وما تبع ذلك من آثار سلبية ألمت به، معبراً عن تلك الآثار من خلال صرخات متتاليه (للمعتمد)، لعله يعفو عنه ويكرمه بالعودة إلى وطنه (سرقسطة)، فيقول: " **ثم من أعظمِ الخطوبِ ما أدْرَجَهُ في أثنائه، من تعديد أياديه وآلائه ؛ وَنَعَمْ ، أوْلى _أيده الله_ وشرَّف ووجَّه ، ونبَّه من**

---

[٣٠]- المصدر نفسه ، ق٣،ج١،صـ٢٦٨.

[٣١]- الذخيرة ، لابن بسام ، ق٣،ج١،صـ٢٦٩.

خمولٍ ونوَّه ،ولستُ لكلّ ذلك بكانِدٍ ، ولا لجميع ما أولاه بجاحدٍ ، ولو جحدتُ لأقرَّت عليَّ المواهب ، ولو سكتُّ لأثنتْ بآلائه الحقائب ، وأجمدُ الله تعالى على ما اتّفَقَ لي عنده من هذا الاعتقاد فيّ ، والنظرِ بمثل هذه العين إليّ مع فَرْطِ تحرّزي وانقباضي ، وتناهي تذلّلي وانخفاضي ،وما جَبِلت عليه من سكون الطائر ، وغضِّ الناظر، وَحَزْنِ اللسان، ومهابة السلطان ، في السرّ والإعلان ، وإذا فكرتُ في ذلك لم أستَغْرِبْهُ ،لما علمتُ من شقائي في جَدّي ، وسوءِ أثرِ الزمانِ عندي ، ففي مولدي أن تقسوَ عليَّ قلوبٌ أستلينُها وأستلطفُها ، وَتُعْرِضَ عني جوانبُ أستميلها واستعطفها، ومازلتُ مذ كنتُ أعتذرُ مظلوماً وأسترضي متسخطاً، وأداري متشططاً، واضطرّ إلى الإقرارِ بأجرام لا أجنيها، والاستعفاءِ عن ذنوبٍ لا أدريها ، وكيفما دار الأمر ، وتصرَّف بيَ الدهر ، فإني لا أفارقُ عِصْمَةَ ولائه، ولا أنحرفُ عن تأميله ورجائه ، حتى يهبَ الله لي منه تأملاً يستوضح بهْ براءَةَ ساحتي مما نُمِيَ اليه ، وسلامةَ جهتي مما زُوّرَ لديه، فيعودَ بي إلى المعهود من رأيه الجمل ، ويوسعني ما أوسع الكلَّ من طَوْلِه الجزيل ، فلم يكنْ قَدْرُ ما نمي إليه لو قام عليه دليلٌ يُقْنع ، وظهر بصحّته أمرٌ لا يُدْفَع ، مما قَدَحَ في رياسته ، وغضَّ من نفاسته ، فيؤيسَ من كريم عطفه ، أو يضيقَ عن تغمده وعظيمِ صَفْحِهِ "[٣٢].

يختتم الكاتب رسالته بإعلان رغبته في أن تصل هذه الاستغاثة إلى (المقتدر) جملة وتفصيلاً عسى أن يظفر بالعفو وإخماد نار الفتنه التي دبت بينهما، إلا أنه يقرن هذا بتخير الوقت المناسب لدى (المقتدر) ، حيث يكون فيه (المقتدر) في حالة نفسية سعيدة حتى يلين قلبه وتذهب قسوته لمخاطبه، فيقول: **"وأنا أرغَبُ أنْ تلخِّصَ معانيَ كتابي هذا بفضلك وتعرضها عليه، وتأخذَ جُمْلَتَهُ وتفصّلها لديه ، وتحلّي ما خَشُنَ منها بلطف إشارتك ، وَتُتِمَّ ما نقص منه بحسنِ عبارتك ، وتتوخى لذلك وقتَ نشاطه، وساعةَ انبساطه، فعسى أن تصادفَ به إصغاءً يَثْني عن النَّبوة ، وَيُلينُ جانباً من القسوة، ويُذْهِبُ بعضَ ما يجده، ويصرفُهُ عن هذا الاعتقادِ الذي يعتقده "**[٣٣] . على هذا النحو السابق يمكن إجمال بعض الدلالات التي حملتها الرسالة وهي:

- أظهرت الرسالة سوء واضطراب الأحوال الاجتماعية والسياسية التي سادت عصر الكاتب .
- أوضح النص السابق أن هموم الكاتب متعلقة بهموم الوطن والآمة، حيث إن الكاتب يمثل أحد الأفراد المكونين لهذا الوطن.
- الرسالة تتسم بجودة البناء من خلال تناغم البناء اللغوي والدلالي مع الجانب

---

[٣٢]- المصدر نفسة ، ق٣،ج١،صـ٢٧٠.

[٣٣]-. المصدر نفسه ، ق٣ ، ج١، صـ٢٧١ .

النفسي للكاتب.

- أثبت النص براعة الكاتب اللغوية من خلال توظيفه للدوال التعبيرية المتباينة وفقاً للحالة التي تسيطر عليه، وهو ما يؤكد على ثراء معجمه اللغوي.
- لجأ الكاتب إلى صياغة الأحداث بمنتهى الدقة، حيث جعل المتلقي أمام مشهد مفصل يعرض أبعاد مأساته مع المقتدر بجميع تفاصيلها، وهو ما ظهر في ذم الواشي ومدح (المقتدر) من أجل استمالته طمعًا فى العفو والعودة إلى وطنه الخاص (سرقسطة).

تزايدت شكوى بعض الكتاب من الزمان نتيجة لما عصفت به الحياة الاجتماعية المضطربة ، والتي أدت إلى تتضاعف الهموم والآلام النفسية لديهم ، حيث نرى(ابن الدباغ) يجمع بين غربة المكان وغربة المنفى، فيضيق صدره ولا يجد ملجأ سوى الشكوى إلى أصدقائه واصفاً غربته في المنفى بالوحشة والوحدة التي يعاني منها الميت في قبره مصوراً ذلك المشهد المفعم بالآلام **فيقول: " فَرْقُ ما بينَ المكانِ الذي وردتُ عليه، وبين القبرِ الذي مآل الإنسان إليه ،المقيمَ به والساكنَ فيه يُدْفَنُ حيّاً، ولا يعلمُ من نورِ الدنيا شيّاً، وأنا منذ احتلاله أفرَغُ من حجّام ساباط، أركلُ وأضربُ الآرباط، وتارةً ألعبُ بشطرنجٍ ونَرْد ، وتارةً أطالع أخبار بِشرٍ وهند ، وأخرى أيضاً: أظلُّ ردائي فوقَ رأسي قاعداً ، أعدّ الحصى جاهداً ، وأرمي بها صادراً ووارداً ؛وكانت راحتي في مخاطبة صديقٍ أُجاذِبُهُ الكلامَ ، وأقطعُ مناجاتِهِ الأيام، ولكنْ منْ مِحَنِ الدنيا ألاّ أجدَ من يتحمّلُ لي كتاباً ؛ ولقد ظفرتُ بمن توجّهَ إلى تلك الناحية فكتبتُ مخَفّفاً عن صدري ، وطالعتُكَ أنت والإخوان ببعضِ أمري ، وانتظرتُ صَدرَ ذلك الإنسانِ ، بأجوبةٍ تفيدُ بعضَ السُّلوان ، فلم يكن منهم إلاَّ كل جافٍ جلف، لم يَرَ في دينه المراجعة بحرف، فساء بذلك ظنّي ، وقرعتُ على ما فعلته بالندم سنّي ، وتصرَّفَ فكري في أنَّ ذلك الرجلَ كان من معارف الرِّجس ،فاتهمتُ أن الداخلةَ دَخلَتْ عليَّ منه، ولولا ذلك لفاجأكَ من العتب ما يُرْهِقُ شمسك ، ويصلح من رَوْح الله يأسك ، فعجّلْ مراجعتي بجليّة ما عندك من وصولِ الكتب أو غيرِ ذلك ، ولا تزدْ علَى ما في جوابك، فإني زاهدٌ في قراءَةِ كتابك ،غيرُ نَشِطٍ لما يرد منك ومن سواك ولو راجعتمْ عما أكتبُ بالضّعف، عن كلِّ سطرٍ بألف"**[٣٤] . من خلال البحث في المعنى للنص يتضح لنا عدة دلالات وهي:[٣٥]

- مطابقة الكاتب بين حالته في المنفى وما يشعر به من الضيق النفسي بحالة القبور التي يدفن فيها الموتى فتلك الحالتان تصيب الإنسان بالوحشة.

---

[٣٤]- الذخيرة، لابن بسام ، ق٣،ج١،صـ٢٧٤ : ٢٧٥ .

[٣٥] - تجليات الذات الكاتبة في رسائل ابن الدباغ الأندلسي النثرية ، د/ عبد الجواد شعبان الفحام ، مجلة كلية الدراسات العربية ، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا ، إصدار خارجي ، سنة ٢٠٠٦، صـ٢٦:٢٧.

- آثر الكاتب استخدام الدوال التصويرية للمشاهد الحياتية أثناء غربته في المنفى عن الوطن، والتي تعكس حالة الركود والرتابة التي سيطرت على الكاتب أثناء غربته، حيث يظهر ذلك من خلال قوله: (أعد الحصى جاهداً) (وارمي بها صادراً وارداً).
- أظهر النص تمتع الكاتب باتساع الأفق واتقاد الذهن ويظهر ذلك من خلال قدرته على توظيف الصور التراثية القديمة، من خلال كتاباته فهو يستثمر وقته في المنفى بالقراءة والاطلاع ويظهر ذلك في قوله : (وتارة أطالع أخبار بشر وهند) ، ففي هذا يقصد إشارته إلى (المقامة البشرية) وهى من مقامات (بديع الزمان الهمزاني).

يعلن الكاتب في خاتمة الرسالة عن سوء حظه ومأساته الاجتماعية والشخصية في عدم وجود صديق يخفف عنه محن الدنيا فيقول: (ولكن من محن الدنيا لا أجد من يتحمل لي كتابًا)، وهو بذلك يعكس للمتلقي صدق تجربته وسوء حالته النفسية ، وهكذا تبدوا صورة الوطن في وجدان كُتابه الذين أجبروا على الاغتراب والنفي عن أوطانهم، ومن الرسائل الطريفة التي تحمل في ظاهرها إحدى الظواهر الاجتماعية السائدة في العصر المرابطي، لكنها تحوى في باطنها أشد معاني الألم التي يصاب بها المغترب عن وطنه وعائلته، خاصة وإن كان المغترب هو ربّ الأسرة وعمادها، رسالة (ابن أبي الخصال)، التي قالها على لسان أحد العامة الذي كان يطلب الشفاعة من إحدى سيدات العصر المرابطي، وذلك بعد أن تم سجنه وتغريبه عن أسرته دون جُرم اقترفه إلا أنه اجتهد في تقديم النصيحة، وقد جاءت الرسالة تحمل معاني الاستشفاع والشكوى من الغربة التي يعاني منها في السجن والتي باعدت بينه وبين أسرته فيصف ذلك، من خلال البدء بمقدمة دعائية وجهها إلى السيدة المرابطية ، مادحًا لها بأنبل الصفات وأحسنها، وفي ذلك إشارة إلى أنها كانت تهتم بالإحسان وتقديم المساعدة للمحتاجين، فيقول: **"أطالَ اللهُ بقاءَ الْحُرَةِ العُلْيا، وَالسَّيِّدةِ العُظْمى، وحازَ لها في الدَّارَيْنِ المحلَّ الأَسْمى، وَلازَالَتْ تُسدي إحساناً وتُولي نُعْم، كَتَبَ عبدُها وقد نَفَذَ مِنَ العَهْدِ الْمُطاعِ في حملهِ ما نَفَذْ ، وَأخَذَ رَوْعُ الهجومِ والبَغتَةِ من نفسِهِ وعيالِهِ وضعفَه أهلِهِ وأَطفالِهِ ما أَخَذْ، فكأنَّهُمْ ما عَرَفوا مع هذا البُؤْسِ نَعيماً ، ولا عَهِدوا إلاَّ الاجتهادُ في النَّصيحَةِ والْمُحافظةُ على الأَعمالِ الصَّحيحَةِ ، وَنَفْسٌ بما له وما لها _أيَّدَهما الله_ جِدُّ شَحيحَةٍ "**[٣٦].

وينتقل (ابن أبي الخصال) بعد هذه المقدمة إلى عرض الموضوع الرئيس داخل الرسالة، فيبدأ بتقديم الشكر والثناء للقائد (أبى حفص) والذي كان رحيمًا به أثناء محنه التي عانى منها في غربة المنفى، ثم يعرض ما حدث له في الاغتراب عن الوطن من

[٣٦]- رسائل ابن أبى الخصال ، د/ محمد رضوان الداية ، صـ٢٦٤ .

بُعْد عن أسرته ، فيصف ما أصاب أهله من الحزن والكدر بعد إبعاده عنهم، معدداً للمتلقي الآثار السلبية النفسية والجسدية التي ألمت به وبأسرته نتيجة اغترابه عنهم وهو بين غيابات المنفى ،حيث يتوجه الكاتب بعد هذا العرض إلى التضرع إلى الله كاشف الكروب وعلام الغيوب، فيقول: **" وأشكُرُ عندَها القائدَ الأَجَلّ ، أَبا حَفْصٍ_ أعزَّهُ اللهُ_ فإنَّهُ تَناوَلَ أَمْري تناوُلاً رَفيقاً وكانَ عليَّ في هذهِ الحالِ حنينَ النَّفْسِ رقيقاً ، وقد نَظَرَ في حِسابي ، واستبطَنَ جميعَ أسبابي ،فلم يجد_بحمد الله_ دركاً يردُّه ، ولا شيئاً يَنْتَقِدُه أو يُعدُّه ، وكتابه يُنبيءُ عن الحقيقَةِ، ويخبِرُ بمأخَذي في هَذِه الطَّريقَة ، ولَوْلا أنَّ لي في براءَةِ ساحتي سُلواناً، ومِنْ حُسْنِ عهدِها وشَرَفِ رَأْيِها_أيَّدَها اللهُ_شُفَعاءَ صدقٍ وأعواناً، لَقَضَتِ الرَّوعَةُ عليَّ، وتعبت نَفْسِي_مملوكَتُها_إليَّ، وكيفَ لا تنصَدِعُ كبِدي وتَنْفَطِر، ووِرائي قرابَةٌ وتَبَع، وبُنَيّاتٌ كزُغْبِ القَطا أَرْبَع، وأُمَّهاتُ أَوْلادٍ ضُيَّع؟ فإلى مَنْ يَشتكين بمظلَمَة، وكاسِبُهُنَّ في قعْرٍ مُظْلِمَة؟ وبِمَنْ يهتِفْنَ لنَصْر، وكافِلُهُنَّ في قَبْضَةِ أَسْر، وتحتَ قَصْرٍ في قَصْر؟ بَل أَكِلُهُنَّ ونَفْسِي إلى مَنْ أخرجَنا من الظُّلماتِ إلى النُّور، ونقلَنا إلى الظِّلِّ مِنَ الْحَرور ، وشرَّفَني وإيّاهُنَّ بالإسلام، وعرَّفني بملُوكِهِ السّادَةِ الأَعلام، وأَسْلَمَني إلى الأميرِ الأَجلّ الهُمَام ، وإلى الملكَةِ التي حازَتْ فَخْرَ الأَيّام وتأخَّرَ عنها مَنْ تقدَّمَ وتأَخَّرَ مِنَ الكِرام"**[٣٧] .

ثم يختم الكاتب رسالته بطلبين على لسان صاحب المظلمة الأول: وهو أن تخرجه السيدة المرابطية من غربة المكان، والتي يعاني منها في سجنه معتمداً في ذلك على الاستعطاف والاستشفاع، أما الطلب الآخر : هو طلبه من السيدة المرابطية بأن تراسل كبراء عصره ليقدموا له سُبل العون التي تعيد له ولأسرته الحياة مرة أخرى .

فيقول: "فعلى اللهِ تعالى أَتَّكِل ، ثُمَّ إلى مجدِها أَكِلُ مَنْ أَكِل؛ فكلُّهنّ لَها رِقّ ، وحقُّها فيهنَّ وعليهنَّ حَقّ ، وقد خِفْتُ على نَفْسي من عظيمِ المشقَّة ،وبَعيدِ الشُّقَّة، وضعفِ جسمي، وقلَّة جرمي ، فإنْ غَلَب حَذَر ، ونَفَذَ قَدَر، فإليها_أيَّدها اللهُ_ النَّظَر، وباللهِ ثُمَّ بها أَسْتَدْفِعُ فيهِنَّ ما أَخافُ وأَحْذَر، وَالرَّغبةُ في كُتُبٍ كريمةٍ تَصْحَبُني إلى أَوْليائها_أيَّدها اللهُ_ لِيكونوا إليَّ عزّاً،واتخذُهم مَعْقِلاً مَنيعاً وحِرْزاً، وتأمُرُ لي_أَيَّدهااللهُ_ بكتابَيْنِ إلى فلانٍ وفلان، فَلي إلَيْهِما سَبَبٌ كريم، وانقطاعٌ قَديم، على أَنَّهُ لا وَسيلَةَ ،أَعْظَم، ولا سِلْكَ أَنظَم، مِنَ الاتِّصال بمَجْدِها، والتمسُّكِ بعَهْدِها، واللهُ يصنَعُ لها وَعلى يَدَيْها في عَبْدِها، بعزَّتِه وقُدْرَتِه. "[٣٨] .

نستنتج مما سبق أن الرسالة السابقة تشير من الناحية الموضوعية إلى صورة الوطن فيما يأتي:

---

[٣٧]- رسائل ابن أبى الخصال ، د/ محمد رضوان الداية ، صـ٢٦٥ .

[٣٨]- المرجع نفسه ، د/ محمد رضوان الداية ، صـ٢٦٦ .

- إبراز دور المرأة المرابطية في الحياة السياسية والاجتماعية .
- توضح دور الكُتاب في إبراز المظاهر الاجتماعية والسياسية للوطن الأندلسي، من خلال أعمالهم النثرية.
- تبرز صورة المجتمع الاقتصادية وتشير إلى الطبقات التى تَكَوَّنَ منها المجتمع المرابطي، وهي الطبقة (العليا والدنيا).
- الرسالة نموذج بارز لتوضيح دور الكُتاب في تحقيق سلامة الوطن، وحماية أفراده من الآفات الاجتماعية التي قد تصيبهم كالفقر والسجن والتشريد، نتيجة لسوء الأحوال السياسية واضطرابها.

من خلال قطع نثرية قصيرة شكى بعض الكُتاب اضطراب الأحوال السياسية وحالة القلق والفزع التي أصابت أهل الأندلس، وما ترتب على ذلك من انتشار النفي والتشريد عن الوطن هرباً من تلك الظروف المتردية التي انبتت لدى الأندلسين شعورهم باستحالة العيش في أوطانهم، وهذا ما يصفه (ابن عبد البر) في رسالة يقول فيها: **" مَنْ صَحِبَ الدَّهْرَ -أَعَزَّكَ اللهُ- وَقَعَ فِي أَحْكَامِهِ، وَتَصَرَّفَ بَيْنَ أَقْسَامِهِ: مِنْ صِحَّةٍ وَسُقْمٍ وَوَجْدٍ وَعُدْمٍ، وَبُعَادٍ وَاقْتِرَابٍ، وَانْتِزَاحٍ وَاغْتِرَابٍ، وَاتَّفَقَ مَا قَدْ عَلِمْتَ مِنَ الِانْزِعَاجِ وَالاضْطِرَابِ وَالتَّغَرُّبِ وَالإِيَابِ "**[٣٩].

مع استمرار تزايد حالة اليأس والقنوط التي أصابت الأندلسيين لما لحق بهم من الاغتراب عن الأوطان بين جدران السجون، نجد الكُتاب يلجأون إلى وصف اضطراب الحالة النفسية التي يعاني منها هؤلاء المسجونون نتيجة لغربتهم المكانية، والدليل على ذلك قول : (ابن شرف القيرواني) في رسالته التي صاغها على لسان أحد المساجين **قائلاً: "قَدْ حَكَمْتَ بِسِجْنِ الأَشْبَاحِ، وَهِيَ سُجُونُ الأَرْوَاحِ، فَامْنُنْ عَلَى مَا شِئْتَ مِنْهُمَا بِالسَّرَاحِ، فَالْحَبْسُ نَزَّاعُ الأَرْوَاحِ، وَالغُفْلَةُ أُخْتُ القَتْلَةِ، وَكِلَاهُمَا فَقْدٌ، وَمَهْرٌ لِلْخُطُوبِ وَنَقْدٌ، وَإِنَّمَا بَيْنَهُمَا مُتَصَاعِدٌ، وَأَجَلٌ مُتَبَاعِدٌ ... "**[٤٠].

وفي رسالة أخرى تظهر شدة الآلام النفسية التي أصابت الكُتاب أنفسهم نتيجة لترك الوطن بسبب ظاهرة النفي السياسي التي كانت آفة المجتمع الأندلسي في مختلف عصوره، حيث نجد (ابن طاهر) يصف غربته عن وطنه وهو في المنفى قائلاً: **" حِكَمُ الزَّمَانِ -أَيَّدَكَ اللهُ- تُعَثِّرُ الإِنْسَانَ، وَلَوْلَا دِفَاعُ اللهِ لَهَوَتْ قَدَمُهُ، وَاسْتَوَى عَدَمَهُ لَا يُبَالِي حَيْثُ انْتَحَتْ نَوَائِبُهُ، وَلَا مَنِ ازْوَرَّ جَانِبُهُ، يَلْقَى الدَّهْرَ عَابِسًا، وَلِثَوْبِ الغَدْرِ لَابِسًا،**

---

[٣٩]- الذخيرة ، لابن بسام ، ق٣،ج١، صـ١٢٨ : ١٢٩.

[٤٠]- خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب والأندلس ، تأليف : عماد الدين الكاتب الأصبهاني (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، تحقيق: آذرتاش آذرنوش ، تنقيح: محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى، جـ٢ ، الناشر : الدار التونسية للنشر، سنة ١٩٨٦م ، صـ٢٢٥.

وَكِتَابِي مِنْ بَلَنْسِيَةَ، وَقَدْ وَافَيْتُهَا مُوَافَاةَ الآمِنِ بِقَرَارِهِ، خَارِجًا مِنْ لَيْلِ الحَوَادِثِ وَاعْتِكَارِهِ مُسْتَبْشِرًا بِنَهَارِهِ، وَمُسْتَشْفِيًا مِنْ آثَارِهِ، فَالْحَمْدُ للهِ بِمَا أَوْلَاهُ، حَمْدًا يُبَلِّغُ رِضَاهُ، وَأَمَّا أَنَا -أَيَّدَكَ اللهُ- فِي أَمْرِي وَمَا يَسَّرَهُ اللهُ مِن انْجِلَاءِ ضُرِّي بِأَجْذَلَ مِنِّي لِتَوَقُّفِ الأَيَّامِ عَنْ مَكَانِكَ، وَقَدْ أَوْضَعَتْ فِي بُنْيَانِكَ، تَظُنُّ أَنَّ مَا تُتْلِفُهُ لَا تَصْرِفُهُ، وَكَمْ للهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ، وَكَرَمٍ حَفِيٍّ، وَهُوَ المسْئُولُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ أَنْ يُعِيدَ عِزَّكَ إِلَى بَهَائِهِ، وَإِنَّ مَنْ تَلَقَّى رَايَةَ المجْدِ ابْتِدَارًا، وَأَخَذَنِي مِنْ أَيْدِي الخُطُوبِ اقْتِصَارًا لَعَلَمُ الوَفَاءِ الَّذِي إِلَيْهِ يُشَارُ، وَشَخْصُ السِّيَادَةِ الَّذِي بِهِ يُسْتَنَارُ، الوَزِيرُ الأَجَلُّ أَبُو بَكْرٍ أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ وَأَحْسَنَ جَزَاءَهُ وَوَصَلَ اعْتِلَاءَهُ "[٤١]

من خلال الخطاب الأدبي السابق نستنتج عدة دلالات، موضوعية وفنية على النحو التالي:

- ظهور الألم النفسي وحالة الاضطهاد السياسي من بداية النص، والتي يعاني منها الكاتب ومدى انعكاس ذلك على حالته النفسية.
- يتسم النص بالمباشرة والوضوح، حيث بدأ الكاتب بموضوع الرسالة دون اللجوء إلى المقدمات التقليدية .
- ظهور النزعة الدينية بشكل جليّ من خلال اللجوء إلى دالة الدعاء والحمد والثناء على الله في أشد أوقات المحن، بجانب الدعاء لحاكم (بلنسية) ، اعترافاً بفضله على الكاتب .
- تظهر الرسالة تمتع الكاتب ببعض السمات الشخصية الإيجابية كالتفاؤل على الرغم من ضيق حاله ونفيه عن الوطن، فيقول: (وَكِتَابِي مِنْ بَلَنْسِيَةَ، وَقَدْ وَافَيْتُهَا مُوَافَاةَ الآمِنِ بِقَرَارِهِ، خَارِجًا مِنْ لَيْلِ الحَوَادِثِ وَاعْتِكَارِهِ مُسْتَبْشِرًا بِنَهَارِهِ، وَمُسْتَشْفِيًا مِنْ آثَارِهِ، فَالْحَمْدُ للهِ بِمَا أَوْلَاهُ، حَمْدًا يُبَلِّغُ رِضَاهُ)
- أما من الناحية الفنية أفصحت الرسالة عن براعة الكاتب اللغوية والفنية من خلال قدرته على المزج بين اللغة والأساليب داخل الرسالة، والتي تتناسب مع حالته المتأزمة ، حيث إن الرسالة في مجملها تعد صورة من صور الوطن الأندلسي وما يعانيه أثناء التقلبات والفتن السياسية .

ومن الرسائل السياسية التي تكثر فيها الشكوى من آلام الغربة عن الوطن، رسالة أخرى (لابن طاهر) والتي بعث بها إلي (المعتمد) راجياً منه العفو عنه والعودة إلى وطنه مره أخرى ، حيث يقول (ابن طاهر) في هذا المعنى **"مَنْ وَجَدَ سَلَفَهُ على مذهبٍ من الخير بيّن ،وسَنَنٍ من الفضلِ متبيّن ، سرَّهُ أنْ يتحلّى بتلك الخُلُق، ويتجلّى من تلك الأُفق ،وان الزمانَ اللدانَ الذي انقضى ، وامَّحتْ صورتُهُ الحسنى، نَظَمَ بين ذي**

[٤١]- الذخيرة ، لابن بسام ، ق٣،ج١،صـ٣٨ .

الوزارتين القاضي جدّكَ وبين أبي مولاي، كان رحمه الله ، عَقدَ الصّلة ، وأبرَمَ بينهما حَبْلَ الخُلَّة ،وشقَّ بينهما المصافاةَ شقَّ الأُبْلُمَةِ، وأطلعهما نجمين في أكابر تلك اللمّةِ، يفترقان عند الاستعمال، ويحملان يومئذ مُضلِعَ الأثقالِ، إلى أن امتزجت بهما الحالُ امتزاجاً، وكان كلّ واحد منهما لنفسِ صاحبه غذاءً ومزاجاً، ولم يَقْنَعْ من ذلك الالتفافِ، بواقعةِ الكفاف، حتى أتمَّ صنائِعَهُ، ورقَمَ وشائِعَهُ ،خلالَ ما ابتداه ، ونهجه وهيّاه، فضمنًّا والرئيسَ الأجلَّ أباك معتَمَدي_كان_ رضي الله عنه في زُمْرةِ الطلبة، والأُسْرَةِ منهم المنتجبة، وَرَتَعْنا في رياضِ الاصطحاب، واستذرينا من أدواحها بأمثالِ السحاب، نُصيبُ من بَرْدِها ودَرّها، إلى أن أطلعتِ الأيامُ شجرَ مُرّها، برائع الفراق، ولم نشفِ الأشواقَ ، وأقبلتِ الفتنُ والمحنُ تنساق؛ فلما اطمأنتْ بك قدمُ الرياسة، واستقرَّتْ منكَ في شخصِ السيادةِ والنّفاسَةِ، جَعَلتِ الهمةُ تَتَطلَّع ، والإرادةُ مني تنقادُ وتتبع ، في الإلمام بمداخلتِك ،والتسبّبِ لمطالعتك، ليلتئمَ باعتلاقك ذلك الشّعب، ويستريحَ من بُرَحائِه القلب، والأيام على شِيَمها وَشُومِها، في عوارضها وَلُومِها؛ إلا أني مع ذلك لم أُخْلِ مشاهدتي من الذكرِ لك ، وأحببتُ فتحها معك، لأُعلقَ منكَ كفّي،بماجدٍ يكونُ ركني وكهفي ،واثقاً بحسنِ المقابلة والقبول، عارضاً ودّي بمهَبّ الصَّبا والقبول، فان مننتَ بالمراجعة فذلك البغيةُ والمراد، وإلا فما أخطأ الاجتهاد، والله يُيَسّرُ المرتجى منك ، ويدفعُ محذورَ النائباتِ عنك، بقدرته الباهرةِ ومشيئتِهِ العالية "[٤٢]

ومن الملاحظ في النص السابق أن الكاتب تسيطر عليه مشاعر الحنين للوطن، لذلك نجده بدأ النص بتذكير مخاطبه وهو (المعتمد) بما كان بينهم من أواصر الصداقة حتى يتمكن من استعطاف واستمالة قلب (المعتمد) ليصل إلى الغرض الاساسي من النص، ثم يخلُص الكاتب بعد ذلك إلى عرض معاناته التي أبعدته عن وطنه، مستخدماً العديد من الصور التي تعكس استمرارية الألم لدى الكاتب طوال فترة اغترابه عن وطنه، وهو ما يظهر من خلال الدوال التعبيرية (**أطلعتِ الأيامُ شجرَ مُرّها، برائع الفراق، ولم نشفِ الأشواقَ ،وأقبلتِ الفتنُ والمحنُ تنساق**)، ويختم نصه بإعلان تمسكه بصداقة (المعتمد) مهما باعدت بينهم الفتن والدسائس فهو يأمل في العودة إلى وطنه وإنهاء خصومة المعتمد إبقاءً لعلاقة المودة والصداقة التي كانت بينهما، ويظهر ذلك في قوله (**إلا أني مع ذلك لم أُخْلِ مشاهدتي من الذكرِ لك ، وأحببتُ فتحها معك، لأُعلقَ منكَ كفّي، بماجدٍ يكونُ ركني وكهفي ،واثقاً بحسنِ المقابلة والقبول، عارضاً ودّي بمهَبّ الصَّبا والقبول**)، والنص في مجمله صورة امتزج فيها الألم الذي أحاط الكاتب في اغترابه عن الوطن بالأمل في العودة إلى هذا الوطن، وهي صورة تعكس للمتلقي قيمة الوطن عامة وفي نفوس كتاب الأندلس خاصة.

[٤٢]- المصدر نفسه، لابن بسام ، ق٣،ج١، صـ٤٤، صـ٤٥.

أما على المستوى الفني استطاع الكاتب أن يوظف دواله التعبيرية بما يتناسب مع الحالة النفسية والغرض الرئيسي للنص.

من الرسائل الأندلسية التي تظهر فيها آثار الاغتراب عن الوطن بشكل جلي، رسالة بعثها (ابن زيدون) من سجنه إلى (أبي الحزم بن جهور)[٤٣]، يقول فيها: **"وَلَعَمْرُكَ مَا جَهِلْتُ أَنَّ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ أَتَحَوَّلَ إِذَا بَلَغَتْنِي الشَّمْسُ وَبنا بِي المنزِلُ، وأَصْفَحُ عَنِ المطَامِعِ الَّتِي تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ؛ فَلَا اسْتَوْطِئُ العَجْزَ، وَلَا أَطْمَئِنُّ إِلَى الغُرُورِ، وَمِنَ الأَمْثَالِ المضْرُوبَةِ: خَامِرِيّ أَمْ عَامِرِيّ، وَإِنِّي مَعَ المَعْرِفَةِ أَنَّ الجَلَاءَ سِبَاءٌ، وَالثُّقْلَةَ مُثْلَةٌ، عَارِفٌ أَنَّ الأَدَبَ الوَطَنَ لَا يُخْشَى فِرَاقُهُ، وَالخَلِيطَ لَا يُتَوَقَّعُ زَيَالُهُ، وَالنَّسِيبَ لَا يَخْفَى، وَالجَمَالَ لَا يُجْفَى". غَيْرَ أَنَّ الوَطَنَ مَحْبُوبٌ وَالمنْشَأَ مَأْلُوفٌ وَاللَّبِيبُ يَحِنُّ إِلَى وَطَنِهِ، والنَّجِيبُ إِلَى عَطَنِهِ، وَالكَرِيمُ لَا يَجْفُو أَرْضًا بِهَا قَوَابِلُهُ، وَلَا يَنْسَى بَلَدًا فِيهَا مَرَاضِعُهُ "** [٤٤] تعد الرسالة السابقة صورة مختلفة من صور الوطن، حيث إنها تعكس للمتلقي معاناة الاغتراب داخل الوطن، فالكاتب يصور شكلاً جديدا للاغتراب داخل الوطن بين جدران السجون والذي افقده حريته فأصبح مكبلاً ومقيدًا داخل وطنه. والرسالة في مجملها تجمع بين معاناة الكاتب وبين مشاعر الحب والولاء للوطنه، وهو ما ظهر من خلال تناغم الدوال اللفظية داخل الرسالة والتي جاءت ملائمة لحالة الكاتب. وعلى هذا النحو السابق استطاع الكاتب أن يفصح عن مكنونه النفسي تجاه غربته عن الوطن، في حالة من التناغم بين الدوال اللغوية والأسلوبية والنفسية، مما أظهر دقة وبراعة الكاتب في تصوير مشاهد غربته عن الوطن الأندلسي (الفردوس المفقود) وتلك صورة من صور أهل الوطن.

كما صور (ابن طاهر) مظاهر الحنين إلى الوطن والإحساس بالغربة التي أظهرت قيمة الوطن في نفسه، وخاصة بعد أن نُفِيَ عن (مرسية) وانتُزِعَ منه حُكْمها بسبب (ابن عمار)[٤٥]، وما فعله من الوشاية التي وشي بها لدى (المعتمد) ضد (ابن طاهر) ، فبعث برسالة من منفاه إلى (ابن عمار) يقول فيها : **" قَدْ كُنْتُ -أَعَزَّكَ اللهُ- أَتَيَقَّنُ مِنْ حُسْنِ طَوِيَّتِكَ، وَكَرَمِ سَجِيَّتِكَ، أَنَّكَ لِي أَسْرَعُ فِي الملَمَّةِ مِنَ اليَمِينِ إِلَى الشِّمَالِ، فَارْتَقَبْتُ وُرُودَكَ ارْتِقَابَ الصَائِمِ لِلْهِلَالِ، فَلَمَّا وَافَيْتَ تَحَدَّثْتُ بِمُلَاقَاتِكَ، وَاطَّلَعْتُ عَلَى مُرَاعَاتِكَ، فَأَبْطَأَ ذَلِكَ مِنْ سَنَائِكَ، وَلَزِمَنِي أَنْ أَسْتَعْلِمَ السَّبَبَ الموجِبَ لَهُ مِنْ تِلْقَائِكَ، وَباللهِ أُقْسِمُ لَوْ**

---

[٤٣]- وأبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله ابن محمد بن الغمر بن يحي بن عبد الغافر ابن أبى عبدة الكلبى، مولى بنى أمية، قديم الرئاسة ، وموصوفاً بالدهاء والسياسة، ينظر ترجمتة فى : المُغرب فى حُلَى المغرب،جـ١، صـ٥٦، والذخيرة ، ق١ ،جـ٢، صـ٥٩٨ .

٤٤- ديوان ابن زيدون ورسائله ، تحقيق : د/ على عبد العظيم ، صـ٧٠٣.

[٤٥]- رسائل ابن طاهر الأندلسي النثرية وملامحها الفنية، د/ عبد الجواد شعبان عبد السلام الفحام، ط، ٢٠٠١، صـ١٢.

مُكِّنْتُ مِنْ رُقْعَةٍ وَمِدَادٍ حَاضِرٍ، لَخَطَابْتُكَ بِالمَحْجَرِ وَسَوَادِ النَّاظِرِ، لَكِنْ مُنِعْتُ مِنْ كُلِّ سَبَبٍ لِغَيْرِ سَبَبٍ، وَأَلَحَّتَ عَلَيَّ النَّوَائِبُ بِطَلَبٍ عَلَى طَلَبٍ، أَمَّا الحَضْرَةُ المكَرَّمَةُ، فَكُنْتُ أَعْمُرُ إِلَيْهَا مَسَافَةَ الطَّرِيقِ، وَأَجِدُ لِلْقَوْلِ فِيهَا بَلِيلَ الرِّيقِ، وَسَتَسْمَعُ بِالمشَافَهَةِ كَيْفَ كَانَ المنْعُ لَا التَّمَنُّعُ، فَلَسْتُ أَجْهَلُ ما آتِي وَمَا أَدَعُ، وَأَمَّا أُمُورُ الفِتْنَةِ فَمَهْدُورَةٌ، وَعِنْدَ العَاقِلِ مَغْفُورَةٌ، وَلَوْلَا صَدْعٌ بِالفُؤَادِ وَقَلْبٌ مَلِيءٌ مِنَ الخُطُوبِ الحِدَادِ، لَنَبَذْتُ إِلَيْكَ مَا فِي النَّفْسِ نَبْذَ النَّوَاةِ، فَأَنْتَ مَوْضِعُ السِّرِّ وَالمنَاجَاةِ لَازِلْتَ مِنَ الحَوَادِثِ بِمَعْزِلٍ وَمِنَ المكَارِمِ بِمَنْزِلٍ"[٤٦].

من خلال الخطاب الأدبي السابق نستنتج أن الرسالة جاءت قصيرة ومركزة، لكنها تخدم الغرض والمعنى التي قيلت من أجله ، كما أن الكاتب حمّل نصه أسمى معاني الحب والمودة المصطنعة التي يكنها لصديقة (ابن عمار) محاولاً تذكيره بأواصر الصداقة بينهما عن طريق استمالته، حيث نجد الكاتب يتأرجح بين الحالة الانهزامية تارة وبين التماسك تارة أخرى مما يدل على شدة معاناة الكاتب ومقاومته للمحن والنوائب التي أحاطت به من كل جانب كما في قوله: (منعت من كل سبب لغير سبب)، وإضافة إلى ذلك الكاتب رجل يتمتع بطابع سياسي ينم عن براعته وحنكته السياسية في تدبير الأمور حيث كان حاكماً (لمرسية). ويختتم الكاتب رسالته بخاتمة تحمل معاني الدهاء السياسي حيث لجأ إلى عدم إظهار تأثره بالوشاية التي أحدثها (ابن عمار)، والتي كانت سبباً في نفيه عن وطنه ، مُظهراً بذلك تمسكه بأواصر الصداقة التي تجمع بينه وبين (ابن عمار)، حيث يظهر ذلك في قوله: (وأما أمور الفتنة فمهدورة وعند العاقل مغفورة)، وقوله: (فأنت موضع السر والمناجاة لازلت من الحوادث بمعزل ومن المكارم بمنزل) وهنا تبدو صورة الوطن من خلال تعامل الكتاب مع السلطة العسكرية والسياسية. وهكذا عبرت رسالة (ابن طاهر) عن صورة الوطن المنكسر المغتصب (مرسية)، وفي الوقت ذاته تعد الرسالة انعكاسًا للحالة النفسية التي يعاني منها (ابن طاهر)، كما أظهرت أيضاً قدرته الأدبية وصدق تجربته الإنسانية، وهذا هو الواقع لأن الكاتب هو الخاسر الأول حيث كان حاكماً لهذه الإمارة ، والرسالة في مجملها إضاءة لصورة الوطن الخاص (مرسية)، وتعبيراً عن غربة المنفى التي يعاني منها الكاتب.

غربة الوطن والأهل:

مما تقدم ومن خلال دراسة تاريخ الأندلس السياسي والحضاري، نستطيع أن ندعي بأن مظاهر الغربة التي أحاطت بالنخبة الأدبية والسياسية في بلاد الأندلس، قد ظهرت بمظهرين، الأول: الغربة الجبرية نتيجة لظروف سياسية واجتماعية، والثاني: اتضح من خلال الغربة الاختيارية، وكانت من أجل السعي وراء الرزق أو حباً في الرحلات

[٤٦]- الذخيرة ، لابن بسام ، ق٢،ج١،صـ٢٨:صـ٢٩.

وتحصيل العلوم وغير ذلك. ومما لاشك فيه أن الغربة بكل المقاييس من حيث العلل والمسببات كان لها أثر بالغ الخطورة في نفوس الأدباء وخصوصاً الكتاب الذين عبروا عن ذلك من خلال كتابات الرسائل النثرية. وفي جانب آخر تنوعت مضامين هذه الرسائل معبرة عن الاعتزاز والحب الكبير الذي كان يكنه الكتاب لأوطانهم، كما عبرت تلك الرسائل عن مدى الحزن العميق تارة ومدى التفاؤل والرغبة في العودة إلى أوطانهم تارة أخرى.

من أمثلة الغربة التي كانت تُثيرُ في نفس المغترب التفاؤل غربة (ابن ابي الخصال)، الذي كان مولعاً بتحصيل العلوم والاستزادة من العلماء فاشتهر بكثرة الترحال والتجول بين (شقورة) موطنه ومسقط رأسه متجهاً إلى (قرطبة) و(غرناطة) و(المرية) وهو ما أشار إليه (ابن الخطيب) في الإحاطة قائلاً : " أصله من فَرْغَليط من شقورة، من كورة جيان ، وسكن قرطبة وغرناطة، كان من أهل المعارف الجّمة، والاتقان لصناعة الحديث والمعرفة برجاله ، والتقييد لغريبه، وإتقان ضَبْطه ، والمعرفة بالعربية واللغة والأدب، والنسب والتاريخ، متقدماً في ذلك كله، واما الكتابة والنظم، فهو إمامها المتفق عليه، والمتحاكم فيهما إليه"(٤٧). وقد أشار (ابن أبي الخصال) في إحدى رسائله إلى أن غربته كانت طلباً للعلم؛ مؤكداً بأنه لم يصل إلى مكانة العلماء إلا بعد غربته وترحاله طلباً للعلم حيث يقول: **" وما خلصتُ إلى هذه المرتبة، ولا فُزت بتلك المأثرة الجليلة والمنقبة، بعد فضل الله الذي (يؤتيه من يشاء) ، ويُنيله فئتال به العلياء؛ حتَّى اكتحلتُ أُوار الأرق ، واستشعرتُ صدار الفرق ، واستأنستُ بالوحشة ، وسكنتُ إلى الغرض البعيد ، أرتاح للشفوف والفَرْق ، وأنتجعُ العلم انتجاع البرق ، وأنظمُ بين طرفى الغرب والشرق، فقلَّ إمام مذكور إلاّ وقد شُدَّ إليه لى كُور، وتهاداني نحوه رواح وبكور، إلى أن نسَّقهم سلكُ إسنادي، ووريتُ بلقائهم زِنادى، وخدمتُ انديتهم التي تخيمّ الرحمة فيها ، وتضع الملائكة أجنحتها لمنتديها ، فصدرت _بحمد الله_ عن الائمة والرواة ، كما صدر الظمأن عن الفرات، وهلم جراً ، فما أسأمُ من الالتماس ولا أرفع نفسي لو ألفيتُ من يؤخَذ عنه من الاقتباس، فإني فى العلم والشكر لله نهمُ السريرة، جذع البصيرة"**(٤٨)

على هذا النحو تشير الرسالة السابقة إلى أن الغربة التي يتحدث عنها الكاتب هي غربة اختيارية، حيث كان سببها تحصيل العلم لذلك فقد عزم الكاتب على شد الرحال إلى

٤٧- الإحاطة في أخبار غرناطة، تأليف: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان،جـ ٢، طـ٢، الناشر: مكتبة الخانجي ـ القاهرة، سنة ١٩٧٣.
، ج٢، صـ٣٨٨ : ٣٨٩.

٤٨- أبو عبد الله بن أبي الخصال (رئيس كتاب الأندلس) ، د/ فوزي عيسى، كلية الآداب جامعة الاسكندرية، صـ٢٩.

البلاد شرقاً وغرباً وتحمل آلام الغربة عن الأهل والوطن حتى يصل إلى ما يسعى إليه من تحصيل العلوم والاتقان في التجويد ابتغاء من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء ، ويوضح هذا المعنى في مقدمة الرسالة حيث يقول: (وما خلصت إلى هذه المرتبة ولا فزت بتلك المأثرة الجليلة والمنقبة، إلا بعد فضل الله الذي يؤتيه من يشاء)، وهذه صورة حية لمثقفي الأندلس وكتابها عندما يغتربون من أجل تحصيل العلم.

ثم يشير الكاتب بعد هذه المقدمة إلى ما أحاط به من الصعاب التي كان يواجهها بالصبر، حيث عرض لنا مشهداً مفصلاً لحالته اثناء اغترابه؛ إذ كان يستأنس بالوحشة والعزلة والوحدة في البلاد التي ارتحل إليها فلم يترك إماماً أو شيخاً إلا رحل إليه يستزيد من علمه ويعكف على خدمتهم حتى يتمكن من مجالستهم ما استطاع من الوقت، كما تضع الملائكة اجنحتها لطالب العلم ، حيث يقول: **"حتى اكتحلت أُوار الأرق، واستشعرت صدار الفرق، واستأنست بالوحشة، وسكنت إلى العزلة والوحدة ، طلباً للإتقان والتجويد ، ورمياً إلى الغرض البعيد ، أرتاح للشفوف والفَرْق، وأنتجعُ العلم انتجاع البرق، وأنظمُ بين طرفي الغرب والشرق، فقلَّ إمامُ مذكور إلاّ وقد شُدَّ إليه لي كُور، وتهاداني نحوه رواح وبكور، إلى أن نسَّقهم سلكُ إسنادي، ووريتُ بلقائهم زنادي ، وخدمتُ أنديتهم التي تخيمّ الرحمةُ فيها، وتضع الملائكة أجنحتها لمنتديها"**[٤٩].

ويختم رسالته بعرض النتيجة التي أثمرتها غربته عن أهله ووطنه فلقد أصبح ذا بصيرة قوية ورأي سديد وهو ما من الله عليه به بعد أن قضى فترات طويلة في غربته عن أهله ووطنه ينهل من منابع العلم والعلماء.

كما تطالعنا رسالة أخرى (لابن أبي الخصال) تؤكد أنه كان دائم السعي للاغتراب عن وطنه بإرادته، حيث كان ملازما ومرافقاً لصديقه (ابن الحاج)، الذي تورط معه في انقلابه على (يوسف بن تاشفين)، حيث استخدم (ابن الحاج) صديقه (ابن أبي الخصال) في الرد على المراسلات التي أرسلها (يوسف بن تاشفين)، وهو ما أساء إلى (ابن الخصال) وأنزله من مكانته[٥٠] ، إذ نجده يصف غربته وعدم تحقق آماله في هذه الغربة موجهاً اللوم لنفسه التي سعت لهذه الغربة فيقول: **"الأمنية_أيدك الله_ خُدعة، والنفس طُلعة، لا يردها مظهر تعلوه ، ولا يذودها شجر تبلوه ، ولا تهولها مهلكة تغولها، ولا تثنيها مجاشم تثنيها ، تستخفها كل بارقة ، وتستقيدها كل طارقة، ويدعوها الهوى**

---

[٤٩]- أبو عبد الله بن أبي الخصال (رئيس كتاب الأندلس) ، د/ فوزي عيسى، صـ٢٩.

[٥٠]- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ،تأليف: أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بأبن خاقان، تحقيق: حسين يوسف خربوش، الناشر: مكتبة المنار الأردن ، جـ٢، سنة ١٩٨٩م، صـ٥١٩.

فتبتدر ، ولعل مورده لا يصدر أجل ! إنها لا تسأم احتمالاً ، ولا تُبصر عاقبة ولا تحذر مآلاً ، إلى الله أشكوها نفساً قليلة الهدوء ، أمارة بالسوء (تعب جسمي في مرادها) ولعبت به في ضلالات ارتيادها ، تعساً لها ، فكم من حليم سفّهت ، وكريم أخجلت وجبهت، وحادثة من مرقدها نبَّهت ، وسبيل رشد تنكَّبتْ ، وسليل مجدٍ عثرت ونكبتْ ، هذه الخلال ذهبت بخلَّة وخمره ، وأبو مسلم فرغت من أمره، والبرامكة الصيد هشيم أو حصيد ، وذلك ابن زيّاتها ، وأكلة في لهواتها ، ومحتسب في سبيل شهواتها ، وماضرّها لوفدته ، ونصيحتها أوردته؟! .أعوذ بالله من شيطانها ، وأستعديه على نشاطها وريعانها ، وغلوها وإمعانها ، وأستكفه ما جمح من عنانها..وها أنا بفاس لا أرى هناك مرتجعاً ، ولا أتصور مطمعاً ، وأنتم هناك أركاننا ، وإيمانكم في التعاضد إيماننا "[٥١]

مما تقدم يشير النص السابق في مقدمته إلى نوع جديد من الغربة الاختياريه التي عانت منها الذات الكاتبة ، لكنها في هذه المرة تعلن ندمها على إصرارها المُضنَي في هذه الغربة، التي كانت تحركها الأمنية والنفس الأمارة بالسوء، إذ أبهرها تقلد المناصب السياسية اثناء مرافقة (ابن الحاج) ، فمالت هذه النفس إلى الهوى دون أن تدرك عواقب الأمور أو تحذر نهايتها، وهذا المعنى نجده في سياق لغوي راقي فيقول: (الأمنية_ ايدك الله_ خُدعة) ، (والنفس طَلعة ، لا يردها مظهر تعلوه)، و(إنها لا تسأمُ إحتمالاً، ولا تبصر عاقبة ولا تحذر مآلاً) .

في جانب آخر من النص نلاحظ الذات الكاتبة تُعلي من صرخات الندم والألم والتأنيب للنفس متجهة في كل ذلك إلى الله بالشكوى من نفس قليلة الهدوء وشديدة الأمر بالسوء إلى الحد الذي اتعب جسدها ، وألقى بها في ضلالات اتعستها فجعلت منها تسخر من الحليم وتُخْجِل الكريم إلى أن حل بها الهلاك، من أجل ذلك نجد الكاتب يجسد هذا المعنى في قوله : (إلى الله أشكو نفساً قليلة الهدوء) ،وقوله: (تعب جسمي في مرادها). وتستمر الذات اليائسة في النص بعرض قضيتها من خلال اللجوء إلى التراث التاريخي وتوظيفه داخل النص عن طريق مشابهة حالة جموح النفس التي سيطرت على نفسة بحالة البرامكة وما حل بهم بعد أن اتبعوا أهوائهم وشهواتهم والغرق في ملذات الدنيا .

وتنهي الذات اليائسة أنينها داخل النص بالاستعاذة بالله من شيطان نفسها ومغالاتها، داعية الله أن يقيد ويحجم عنانها، ثم تصور في خاتمة الرسالة حالة التآزم التي آلت إليها في الغربة بعد أن ذالت عنها أطماع الدين والهوى وما حل بها من يأس وقنوط من أمل العودة إلى الوطن مرة أخرى.

أما الجانب الفني للنص فيمكن تسجيل بعض الملاحظات كالآتي:

---

[٥١]- أبو عبد الله بن أبي الخصال د/ فوزى عيسى ص ٣٣ : ٣٤ .

- الرسالة موجزة في مبناها مفصلة في معناها تخدم الغرض التي قيلت من أجله .
- اشتملت الرسالة على معاني ودلالات إنسانية منبعها رسوخ وتأصل الوازع الديني لدى ابن الخصال ، فالنص في مجملة يحمل قضية محاسبة النفس والاعتراف بخطئها.
- قدم النص صورة تعكس الحالة السياسية المتردية التي أصابت الأندلس بصفة عامة، وعصر المرابطين بصفة خاصة.
- تعكس الرسالة براعة الذات وتمكنها من توظيف اللغة من خلال استخدام الألفاظ السهلة المعبرة عن قيتها في الغربة.
- ظهرت ثقافة الكاتب التاريخية من خلال توظيف الأحداث التاريخية لخدمة غرض النص من أجل تقديم والعبرة للمتلقي.

ومما لاشك فيه أن الغريب عن وطنه تسيطر عليه مشاعر الوحشة والتشرد مهما توافر له من رغد العيش في غربته، إذ يغلب عليه شوقه إلى أهله وأحبائه، فيضاف إلى محنة الاغتراب عن الوطن محنة الشوق إلى الأهل مما يضاعف من حالة الانهزام النفسي التي تصاحب المغترب في غربته ، وتلك هي المشاعر التي دفعت (بابن الدباغ) إلى تصوير حالته في اغترابه عن وطنه من خلال رسالة إخوانية يذم فيها الدنيا ويشكو المحن والمصائب التي لحقته أثناء غربته وهذا يتضح في السياق التالي: **" قد كنت أؤمل هذا التلاقي، لأشكو فيه إليك دواهي بلغت بالنفوس التراقي، وصيرت المنايا أماني، فمن لي الآن به وبوصولي إليك حيث أنت، ودونك ما لا يخفى عليك، وقد عرض الماء لعيني فكيف أرد، ومن أين أقصد الله حسبي في سوء جدي، وأنت ولي عذري، في الحضور بالمكاتبة إذ لم أجد سبيلا إلى المشافهة، ولا أكذبك، ضاقت بي الأرض كلها، وانسدت علي سبلها، وضللت عن كل عزاء وتماسك، وأسلمت إلى كل يأس وتهالك، فتداركني ممزقا، ونجني غرقا، وأخطرني ببالك، واعرض حالي على اهتبالك، عسى أن يتجه للفرج وجه، أو يلوح منه فجر "**[٥٢].

هكذا يشير المنحى الأسلوبي في النص السابق من بدايته إلى معاناة الكاتب وتأزم الموقف، حيث لم يبقى أمام الكاتب سوى صديقه ، حيث يتكىء الكاتب في رسالته على تصوير مشاهد مفعمة بالمخاطر والدواهي التي ألمت به في غربته بشكل استوجب عليه طلب العون والمساعدة من صديقه . كما أظهرت الرسالة بشكل جلَي نزعة الكاتب الدينية، والتي تعبر عن مدى تماسكه أمام كل ما أصابه في اغترابه عن وطنه وأهله، حيث يقول:(الله حسبي فى سوء جسدى).

كما تمكن الكاتب من استغلال الخاتمة في عرض حالته الانهزامية، بسبب ما حل

[٥٢]- الذخيرة ، لابن بسام ، ق٣،ج١،صـ٢٥٥

به من الآلام معبراً عن ذلك بدلالات لغوية متتالية فيقول: (ضاقت بي الأرض كلها)، و(أسلمت إلى كل يأس وتهالك)، ثم يعمد في النهاية إلى طلب الخروج من هذه الغربة وانفراجها عنه، وهكذا نجد الرسالة تفيض بمعاني اللوعة والأسى والشكوى من الدهر وويلاته ومحنه المتتالية وهي السمة التي غلبت على (ابن الدباغ) في معظم ابداعاته، وهذه صورة اجتماعية للوطن من خلال ابنائه.

ومن الرسائل التي حرص كُتابها أن تحمل أسمى معاني الشوق إلى الأهل وتظهر شكواهم من طول الغياب والحرمان من الأحباب والأخلاء في الغربة التي فُرضت عليهم رسالة (ابن سيده)[٥٣]، التي أرسلها لأستاذه (أبي بكر الزبيدى)(٥٤)، فيقول : **"يا مولاي الأجل، وسيدي الذي اطلع بأعباء المكارم واستقل، ومعقلي الذي لم أرم به أملًا إلا أصميته[٥٥]، ولا زاحمت بركنه جبلًا إلا هدمته، ومن أبقاه الله في نعمة لا يميل الكدر إليها، ونعمةٍ لا يجيل القدر عليها صرفه، كتابي –أعلى الله قدرك، وأسمى محلك وذكرك- عن لسان لا يخلو من شكرك، وجنان لا يسلو عن ذكرك، ونفس لا يصرم البعد حبل ودادها، ولا يقطع الإغباب بالمطالعة عقد اعتقادها، وكبد صديت إلى مشروع برك فَصُدَّت عن ورده، وظمئت إلى مكرع أنسك فخليت عن برده، ومهما كان الدهر يرضى أو يغضب، والدار تنأى أو تصقُب[٥٦]، فأنا كما عهدت، وسيان غبت أو شهدت، أجنيك غرس الإخاء غضًّا، وأسقيك كأس الثناء محضًا، وأعذل مع ذلك نفس في تأميلها بقاء، وقد عدمت لعزتك الكريمة لقاء، في بلدة كنت لناظرها سوادًا، ولجسمها فؤادًا، ولمكرماتها تاجًا، وفي ظلماتها سراجًا نيرًا وهاجًا، وقد عطلت جيدها بعد أن أطلت تزيينها وتمجيدها لكن الزمان قصرها بنبل، فأقصرها بما شئت من نبال ونصل، أما والسيادة التي غدوت رضيع لبانها، وأصبحت حلى جيدها ولبانها، لقد قرت عين ملك غدوت واسطة عقده، وظفرت كف ملك حصلت في أنشوطة عقده وفي ذلك أقول، وأنت المسترشد المسئول: [من بحر الطويل]**

تهنَّا بصورٍ أو لهنينها بكا وقل الذي صور وأنت له لكا

وإن سهل على علاك، لازالت المحاسن حلاك، مراجعتي من خطك بحرفين، والله

٥٣- هو أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، هو امام وعالم من علماء اللغة وآدابها، تنظر ترجمته فى: نفح الطيب ،جـ٣،صـ٣٨٠.

٥٤- هو أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، إمام اللغة والإعراب ، وكعبة الآداب ،وصاحب كتاب (العين) و(لحن العامة) و(طبقات النحويين). تنظر ترجمته فى نفح الطيب ،جـ٧،صـ٣٨:صـ٤٠.

٥٥- أصمى هدفه، أي: أصابه، يقال: رمى الرجل الصيد فأصمى، إذا قتله مكانه، ينظر: مقاييس اللغة ، ج٣ ، ص٣٠٨ .

٥٦- صقب: قرب، ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (١/ ١٦٣)، مقاييس اللغة، (٣/ ٢٩٦).

يديم بك قرة العين، أعان بهما على دهري، وإن كانت منته تثقل ظهري، لازال مصونا بك الأدب الذي صفت لك مشاربه، والحسب الذي أضاءت بك مشارقه ومغاربه في عزة تغلب ريب الزمان، وهزة لا تسلب ثوب الأمان، والسلام على مولاي عدد شوقي إليه، وحرصي عليه"[٥٧].

من خلال رؤيتنا للنص السابق نلاحظ أن :

- بدأ الكاتب بمقدمة تحمل مضامين إنسانية صادقة تمثلت في استمرار وفاء الكاتب لشيخه على الرغم من بعد المسافة والافتراق الذي باعد بينهما بعد أن رحل (أبو بكر الزبيدي) إلى (قرطبة).
- يلجأ الكاتب في القطعة السابقة إلى صياغة علاقة عكسية من خلال الدوال التعبيرية التي تصور حالة (إشبلية) (المكان) وحزنها على فراق الكاتب (الزبيدى) وهو من دلالات تعظيم المخاطب وتشخيص الوطن لإيضاح العلاقة الوثيقة التي تربط المكان الوطن بالأشخاص المقيمين فيه.
- أوضحت الرسالة صورة المجتمع الأندلسي في الإعلاء من مكانة الكتاب والعلماء، من خلال الدوال التعبيرية حيث يقول : (في بلدة كنت لناظرها سواداً ، ولجسمها فؤداً) (ولمكرماتها تاجاً) .
- اتكأ الكاتب في خاتمة الرسالة على إظهار مكانة شيخه (الزبيدى) ، وما ستتمتع به (قرطبة) وملكها وأهلها من العظمة والشرف والسعادة، بعد أن أقام بها شيخه (الزبيدى) وكأن الكاتب في ذلك يسند (لقرطبة) ما لحقها من شرف لإقامة هذا العالم الجليل بها.
- تظهر الرسالة براعة كاتبها واتساع ثقافته التراثية ونزعته الدينية، من خلال توظيف الاقتباس الشعري في قوله:

تهنًا بصورٍ أو لهنينها بكا وقل الذي صور وأنت له لكا

والاقتباس القرآني حيث يقول: **(سراجاً نيراً وهاجاً).** ويجمع (ابن زيدون) بين معاناته في الاغتراب عن وطنه ومعاناة أهله أيضًا، من خلال رسالته التي كتبها مستعطفا ومستشفعًا لحاكم (قرطبة) بعد أن فر هارباً من السجن تاركاً الوطن والأهل والأحباب، فيقول في مقدمتها **: " أبدأ من كتابي إليك، بشرح الضرورة الحافزة إلى ما صنعت، مما بلغني أنك صدر اللائمين لي عليه، وأول المسفهين لرأيي فيه، ومن**

[٥٧]- رسائل ومقامات أندلسية ، تحقيق: د/ فوزي عيسى ، الناشر: منشأة المعارف_ الإسكندرية ، صـ١٠٦ : ١٠٧ .

أمثالهم: ويل للشجي من الخلي، وهان على الأملس ما لاقى الدبر، وأوسطه بمعاتبتك على ما كان من انفصالك عني، وبراءتك أمد المحنة مني، وأنك لم تكن في ورد ولا صدر من مشاركتي فيها، ولا كانت لك ناقة ولا جمل في مظاهرتك لي"[٥٨]. ويوضح ابن زيدون أنه ما فارق وطنه وأهله وأصدقاءه إلا مكرها، وأن ذلك مصدر حزن وألم له، ولكن لم يكن أمامه خيار فإما ترك وطنه، وإما الذل والسجن، فيقول: **"ذكرت أن الفرار من الظلم والهرب مما لا يطاق من سنن المرسلين، قال الله -عز وجل- على لسان موسى -عليه السلام-:{فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ} [الشعراء: ٢١]. ونظرت في مفارقة الوطن، والبين عن الأحبة، فتبين لي أن إيحاش نفسي بإيناس أهلي، وقطعها في صلة وطني غبن في الرأي، وخور في العزم، ووجدت الحر ينام على الثكل، ولا ينام على الذل، وأذنت إلي قولهم: ليس بينك وبين البلاد نسب فخيرها ما حملك، وإذا نبا بك منزل فتحول "** [٥٩].

يمثل النص السابق في مجملة صورة مختلفة للوطن الأندلسي انطبعت داخل نفوس اهله حتى وإن اجبروا على الاغتراب وترك الوطن في سبيل الخلاص والفرار من الإيزاء، إلا أن أوطانهم لم تغب عن نفوسهم وإن غابت عن أعينهم، فكلما ابتعدوا عن اوطانهم كان ذلك يزيد من اشتعال الحنين إلى الوطن. ومن اللافت للنظر تمتع (ابن زيدون) بصدق التجربة العاطفية في حنينه إلى وطنه الخاص (قرطبة)، إذ كان يدين دائما بالولاء والانتماء لوطنه خاصة في فترات الاغتراب عنه، ويظهر هذا جلياً من خلال ما خاطب به (المظفر سيف الدولة)[٦٠]، التي خاطب بها الحاجب ليشفع له في العودة إلى وطنه ومسقط رأسه [٦١]، فيقول في فصل من هذه القطعة موضحاً ما تسبب في اغترابه عن وطن ومنشأة ، حيث يبدأ الكاتب رسالته بمقدمة نزع فيها إلى التقليد المشرقي في الكتابة وهو البدء بالتحميد والدعاء للمخاطب، ثم ينتقل إلى مدح مخاطبه وسرد صفاته الحسنة، والتي يسعى منها لاستمالة قلب مخاطبه فيقول: **" لما لبس الحاجبُ _أعزَّه الله_ رداءَ المجدِ مُعْلَما ، وحمل لواء الحمدِ مُعْلَنا ،فاستطار بارقُ فجره ، واستضاعَ فائحُ ذِكره ، وشُهرتْ محاسنُه على كل لسان ، وسارتْ مآثرهُ مسيرَ الشمسِ بكلّ مكان ، لمَا سَوَّغَ من كَرَمَه ، وأسْبغَ من نعمه ، ووطأ للآملين من أكنافه ، وهزَّ إلى الراغبين من أعطافه ، ورفرفتْ أجنحةُ الأهواء عليه ، واهتزَّتْ جوانحُ الآمالِ**

٥٨- الذخيرة ، لابن بسام ، ق١، جـ١/ صـ٤٠٨ .

٥٩- المصدر السابق ، ق١،ج١،صـ ٤١٢ : ٤١٧ .

٦٠- هو : المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأفطس،كان من أهل المكر والدهاء واستطاع أن يمتلك (بطليوس وشنترين والاشبونة ، وتوفي سنة ٤٣٧هـ ، ينظر ترجمتة فى الذخيرة ، ق٢، ج١ ، صـ٦٤٠: صـ٦٤٦.

٦١- الذخيرة ، لابن بسام ، ق١ ، ج١ ، صـ٣٩٧.

إليه ، وكثر التغايُر على تفيّؤ ظِلّه ، والتنافسُ في الاعتلاقِ بحبله ، وكلَّ استفرَغَ جَهْدَه ، وتوَّسلَ على حسبِ ما عنده، ولا غرْوَ أن يُستمطَرَ الغمامَ، ويؤمّلَ الكرام ، ويكْثُرَ في المشرَبِ العَذبِ الزحام. وما زلتُ_ أبقى الله الحاجبَ_ أتلقّى من مساعيه المشكورة، ويقَرعُ سمعي بمآثره المأثورة، ما هو أنْدَى من بلوغ الأمل، وأشهى من اختلاسِ القبَل، وأغضُّ من جنيَ الزَّهر، وألطفُ من نسيمِ السَحَر ،حتّى انقادتْ نفسي في زمامِ التأميل والمودة"(٦٢).

ثم يبدأ الكاتب في عرض حالته لمخاطبه في مشهد سردي مفعم بالألم والحزن لعرض قضيته لعله يحظى بالعفو من خلال استشفاع الحاجب له عند (المظفر سيف الدولة) فيقول: **ونازعتْ إلى الأخذ بحظٍ من الاعتلاقِ والممازَجَة. ونظرتُ إلى ما دون ذلك من أسباب البُعْدِ المانعة ، وامتدادِ البلادِ المعترضة ، فغَضَضْتُ طرْفَ الخيبة ، وطويْتُ كشْحاً على اليأسِ من دَرَك الأمنيَة، إلى أن نَدَبَني الأديبُ أبو فلان إلى مخاطبته ،وحرَّضني على مكاتبته، ونبّهَني على ما في التثاقُلِ عن مُداخلته ،من التضييع الصَريح، والتقصير البيّنِ الصَّحيح ، اذ هي أسنى علْقٍ غُوليَ به ، وأنفس ذخر نوفسَ فيه ، فطربتُ إلى ذلك (كمَا طربَ النشوانُ مالتْ به الخمر)، واهتززْتُ له (كما اهتز تحت البارح الغُصُنُ الرَّطْبُ) ورأيتُ من شكرِ يدِ العلياء فيما حثني إليه، وحضني عليه، مما فيه حلْيةُ الفخر ، وَمَكْرُمةُ الدهر ، أن أستفتحَ باب المكاتبة بالشفاعة، وأنهجَ طريقَ المخاطبةِ في العنايةِ به ، وبيننا ، بَعْدُ، من ذمام الطلبِ وحُرمةِ الودّ والأدب ، ما أستقصرُ نفسي معهُ أنْ أتقدم في خدمَةِ رغبته بقلمي ، وقد تأخَّرَتْ قَدَمي ، ويُعَدَّ لاقتصارِ غيبته كتابي، دون أن أزُمَّ لذلك ركابي ، وهو فتىً نام جَدهُ ، واستيقظ حَده؛ فتنكرَ الزمانُ له، واعترَّتِ الأيام به ، بين ذئابِ سعاية عَوَتْ عليه، وعقارب وشايةٍ دبتْ إليه ،وأُصْلي بنار حربٍ لم يجنها ، وأعدَتْه مبارِكُ جُرْبٍ التبس بها آل به الأمرُ إلى فراق أحبته، والبُعدِ عن مسقط رأسه ومَعَقّ بمائمه ، على ضيقِ حاله، وضعفِ إحسانه، وأشهدُ أنَّ ذلك لم يزدهُ للحاجب لاَّ وَلاءً ، وعليه إلا ثناءً ، وأنه لا يزال يُعيدُ شكره ويُبديه، وينشُرُ حمده ويطويه "**(٦٣) ثم يختم رسالته بتكرار التأكيد على الحاجب في أن يشفع له عند حاكم (قرطبة) ليرجع إلى وطنه مرة أخرى، فيقول: " **والحاجب_ أدام الله إعزازه_ وَليُّ إعدائه على زمنهِ لغَشُوم ، وأسلا بإنصافه من دهرِه الظلوم، بإلباسه من جميلِ رأيه ما عُرّيَ منه ، وإيراده من شريعةِ رضاه ما حُلّيء عنه ، والتّخليَةِ بينه وبين الأفُق الذي لم يَرَ كوكبَ سَعْدٍ إلا فيه، ولا تَلَقَّى نسيمَ حياةٍ إلاَّ منه ، فإنه ممّا يُوليه من إحسانه، ويأتيه من الفضلِ في شانه، مُستجزلٌ شُكرَ من أنهضه**

٦٢- الذخيرة ، لابن بسام ، ق١، جـ١ ، صـ ٣٩٨.

٦٣- المصدر نفسه، لابن بسام ، ق١، جـ١ ، صـ ٣٩٩.

لسان، واستقلَّ به بَيان، وهو أهل الفضل ، والمعهود منه كرم الفعل، والله يُبقيهِ ويُعليهِ، وهو حسْبُه وحسبي فيه"[٦٤]. مما تقدم نستطيع رصد بعض الدلالات النفسية والموضوعية التي حملها النص السابق حيث :

- ابتعد النص عن الإطناب فجاء صريحاً ليخدم الغرض الأساسي للكاتب في الاستشفاع للعودة إلى وطنه .
- أشار النص من بداية المقدمة إلى دلالات الاستشفاع التي نزع إليها الكاتب من خلال تعدد صفات المخاطب ومدحه .
- عمد الكاتب في الخاتمة إلى التكرار والتأكيد على الحاجب في أن يشفع له عند حاكم قرطبة حتى يرجع إلى موطنه مرة أخرى .
- استخدم الكاتب دوال تعبيرية تتفق مع واقعة وقضيته التي يعرضها، مبتعداً عن التنميق البديعى، كما أظهر النص تلائم النسق التعبيري مع الحالة النفسية للكاتب.
- اتكأ الكاتب على صياغة مشهد مفصل يوضح من خلاله تكرار الألم النفسي الذي أصابه نتيجة لما أحاط به من مصائب الزمان الذي تنكر له بعد أن نجح الوشاة في الإيقاع به وإشعال الفتنة بينه وبين حاكم (قرطبة).
- أعلن الكاتب أنه مازال يتمتع بالإخلاص والوفاء للحاكم بالرغم مما حل به من الوشايات وسوء الظن والتشريد والنفي من البلاد إلا أنه لم يعلن جفاءه للحاكم.

مما لاشك فيه أن تذكر الأهل والشوق إلى الأحباب في الغربة لم يكن هو المظهر الوحيد من مظاهر الحنين إلى الوطن التي فرضت على المغترب في غربته، فشاع نوع آخر من الرسائل التي حملت معانى الشكر والثناء للحكام الذين أحسنوا معاملة من اغترب إليهم في بلادهم، إذ يظهر ذلك الشكل جلياً في رسائل (ابن طاهر) عندما وجه الشكر للملوك الذين وفد إليهم شاكراً حسن المعاملة التي لقيها طوال فترة اغترابه عن وطنه في بلاد هؤلاء الحكام، فقد بعث (ابن طاهر) بعدد من الرسائل التي تعبر عن الشكر وتحمل في طياتها أسمى معاني الوفاء والود لملوك الطوائف الذين ساندوه في محنته[٦٥]، ومن ذلك ما خاطب به (حسام الدولة) حاكم (لإردة) رداً لجميل صنعه الذي فعله معه أثناء محنته فيقول فيذلك **:" ان الله تعالى يصرّفُ الأمورَ كيف يشاء ، له النعماءُ والبأساء ، فان عافى واصلَ المنن ، وان امتحن أحسن ، لأنه يمنح الأجرَ الذي هو أسنى ، ويعودُ بعوائده الحسنى ، وما المرءُ إلا كالنصل ، يُشحذُ بالصَّقل ، تنفذُ عليه الأقدارُ ، ليقعَ الاختبارُ والاعتبار ، ويبدو له الزمانُ وأهله، وحيث منبتُ الفضل وأصلُهُ ؛ وكان لك _أيدك الله _ من التهمّم بجانبي ، والارتماضِ لنوائبي ، ما أطابَ ذكركَ ،**

---

[٦٤]- المصدر نفسه، لابن بسام ، ق١،ج١، صـ٤٠٢.

[٦٥]- الذخيرة ، لابن بسام ، ق٣، ج١، صـ٣٤.

وأبان قدرك ، وأخبرَ أنّ الجميلَ من سجاياك ، وأن محاسنّ الدهر بعضُ حُلاك . ولما تخلَّصْتُ من تلك الأشراك، وأذِنَ الله منها _وله الحمد_ بالانفكاك ، أسرعتُ إلى قضاء حقِّك وإنه لأعزُّ الحقوق، وتوفيةِ الشكرِ لك بباهرِ مجدك السابقِ غيرِ المسبوق، والثناءِ على أنعم الله تعالى قبل كلِّ شيءٍ وبعده التي جلَّتْ عن الإحصاء ، وَجَلَتْ منَ الغمَّاء ، وقد أوليتَ ما أثبتَ لك في الرقاب رِقاً ، وما تخبُّ به الركائب غرباً وشرقاً، وان المستقلَّ بي والجاذبَ بضبعي لمحيي ميتِ الوفاء ، ومحرزِ جزلِ الثناء ،قسيمي في المهمّ ، وظهيري على الملمّ، الوزيرُ الأجلُّ أبو بكر فاني تبوأتُ في دراه محلاً وداراً ، ورأيتُ الخطوبَ تعتذرُ اعتذاراً"[٦٦].

الكاتب سيطرت عليه النزعة الدينية بوضوح وذلك من خلال مقدمة النص والتي حملها معاني دينية مختلفة ظهرت في دواله اللفظية بقوله: (**ان الله تعالى يصرّفُ الأمورَ كيف يشاء ، له النعماءُ والبأساء ، فان عافى واصلَ المنن ، وان امتحن أحسن ، لأنه يمنح الأجرَ الذي هو أسنى ويعودُ بعوائده الحسنى ، وما المرءُ إلا كالنصل ، يُشحذُ بالصَّقل ، تنفذُ عليه الأقدارُ ، ليقعَ الاختبارُ والاعتبار**).

ثم يبدأ الكاتب في سرد صفات المخاطب وهو حاكم (لاردة) الذي ساانده في محنته بحسن استقباله أثناء اغترابه عن وطنه، فيقول: (**وحيث منبتُ الفضل وأصلُهُ ؛ وكان لك _أيدك الله_ من التهمّم بجانبي ، والارتماض لنوائبي ، ما أطابَ ذكركَ ، وأبان قدرك ، وأخبرَ أنّ الجميلَ من سجاياك ، وأن محاسنّ الدهر بعضُ حُلاك**).

ويختتم الكاتب نصه معترفاً بجميل صنع حاكم (لاردة) معه، وهو ما يظهر خصال كاتبنا الحميدة من الوفاء والاعتراف بالجميل للغير، حيث يقول : (**ولما تخلَّصْتُ من تلك الأشراك، وأذِنَ الله منها _وله الحمد_ بالانفكاك ، أسرعتُ إلى قضاء حقِّك وإنه لأعزُّ الحقوق، وتوفيةِ الشكرِ لك بباهرِ مجدك السابقِ غيرِ المسبوق،... فاني تبوأتُ في دراه محلاً وداراً ، ورأيتُ الخطوبَ تعتذرُ اعتذاراً**) .

وعلى المستوى الفني للنص اتسم النص بالسهولة والوضوح في المعاني والألفاظ وتناغمها مع الحالة النفسية للكاتب وهو ما يبرهن على براعة الكاتب في توظيف الدوال التعبيرية لخدمة نصه.

توسع (ابن طاهر) في هذا اللون من النثر الاجتماعى، والذى يعبر فيه عن وفائه لمن أعانه حتى تنجلي محنته ويعود إلى وطنه، حيث خاطب (الحاجب عماد الدولة) [٦٧]، حاكم (سرقسطة)، موضحاً دوره وفضله فيما فعله معه أثناء اغترابه عن وطنه فيقول:

---

[٦٦]- المصدر نفسه ، ق٣ ، ج١،صـ٣٦ :٣٧.

[٦٧]- هو ابن المقتدر بن هود؛ وهو عبد الملك بن أحمد المستعين وليس ابن المقتدر ، تولى بعد ابيه حكم سرقسطة سنة ٥٠١هـ حتى اخذها منه النصارى. ينظر المُغرب ،ج٢،صـ٤٣٨.

"كتبتُ أيدك الله عند وصولي بلنسية، متخلصاً من يد المحنة ، متلبساً لله فيها أعظم المنحة ،أن تدارَكَ في غَمراتها ،وجلَّى المسودَّ من هفواتها، فلله الحمدُ كثيراً ، والشكرُ نضيراً ؛ وإني بلوتُ من إجمالك في حالتي شدَّتي ونجاتي ما عَقَل اللسانَ ، وقبض البنان ، وأخجلَ الحوادثَ حتى كفَّتْ من اعتدائها، وألوتْ تعثرُ في استحيائها، فإن أثنيتُ فمقصّرٌ عنكَ الثناء ،وان دعوتُ فإلى الله يُرفَعُ الدعاء، وتلقّاني بطريقي كتابُكَ الرفيعُ فتملكني برُّه، وحيّاني بشرُهُ ، وَعَظُمَ عندي قدره ، فلله ما تبديه من فضلٍ وما تسرّه ، ولله درُّ الوزير الأجل أبي بكر ، جوزي بوفائه ، وفسح الله له في ظلّه وبقائه ، فانه ما اكتحل في كربتي بنوم ، ولا تمتع بمسرَّةٍ في يوم ولقد كانت قذى عينه ، حتى حلَّني من وثَاقِها بيديه" [٦٨].

على المستوى الفني للنص نلاحظ:

- الرسالة السابقة موجزة ومحملة بمعاني ومضامين إنسانية واجتماعية تظهر معاناة الكاتب التي أحاطته في الاغتراب عن الوطن والأهل.
- اهتم الكاتب بعرض محنته الأساسية في جميع أجزاء الرسالة، فهو في كل الأوقات مشغول بعرض هذه المحنة وما ترتب عليها من آثار نفسية سيئة أثرت فيه.
- يتضح من خلال المعنى الباطن للنص أنه يحمل بين طياته معنى آخر عن المعنى الظاهر، فالكاتب يعمد إلى الحديث عن محنته التي أفقدته البقاء في وطنه بين أهله وأصدقائه وأصابته بالهم والحزن، بينما يظهر للمخاطب الشكر والثناء والاعتراف بالجميل له لما قدمه من مساعدات للكاتب، وهو ما يعكس براعة الكاتب في العرض وتوظيف الدلالات اللغوية والتعبيرية.
- اتكأ الكاتب على إظهار المعاناة الوجدانية التي لحقت به بسبب فقد الوطن، فجاءت الرسالة محملة بالأنين والألم والمعاناة من خلال السياق التعبيري.
- استغل الكاتب الخاتمة في توجيه خطابه إلى الوزير (أبى بكر) مادحاً له ومصوراً مدى مشاركته له في محنته إلى أن أخرجه منها فيقول: (فإنه ما اكتحل في كربتي بنوم ولا تمتع بمسرة في يوم) .

عبرت الرسالة عن قضية فقد الوطن وقيمة ذلك في نفوس الكتاب بخاصة، فالوطن هو رمز الحياة والبقاء وبدونه يفقد الإنسان حاضرة ومستقبلة.

الاستنتاجات:

أبرزت الدراسة دور الكُتاب في تحقيق سلامة الوطن، وحماية أفراده من الآفات الاجتماعية التي قد تصيبهم كالفقر والسجن والتشريد، نتيجة لسوء الأحوال السياسية واضطرابها، كما عبر الكتاب عن صورة الوطن من خلال مظاهر الطبيعة من حيث

[٦٨]- الذخيرة، لابن بسام ، ق٣،ج١، صـ٣٥ :٣٦.

المطر والزرع والفواكه والأزهار، حيث جاءت تلك الصور الناعمة معبرة عن حالات العشق والحنين للوطن بشقيه العام والخاص. ظهر نمو الشعور الوطني لدى الكتاب وتعلقهم بأوطانهم بالإضافة إلى التجربة العاطفية في الحنين إلى الأوطان مهما عصفت بهذا الوطن من الاضطرابات فشعور الحنين متأصل راسخ في نفوسهم. ظهر الوطن الأندلسي لدى الأدباء من خلال إبداعهم النثري والشعري مما برهن على تأصل الوجدان الأندلسي. ظهور بعض الدلالات العاطفية المفعمة بالقوة والتي هيأت الأندلسيين عامة والأدباء خاصة للتصدي للمخاطر التي تمر بأوطانهم. قيمة الولاء والانتماء للأوطان لدى الأندلسيين، إذ ظهرت هذه القيم في فترات اغترابهم عن الوطن في ظل سوء الظروف السياسية التي فرضت الرحيل عنه. مكانة المرأة في العصر المرابطي وازدياد نفوذها، ابرز النتاج النثري لكتاب الأندلس مدى المعاناة والقهر والألم النفسي الذي أصاب هؤلاء الكتاب، من خلال براعتهم في توظيف المكونات اللغوية والتعبيرية والنفسية داخل رسائلهم النثرية، إبراز المظاهر الاجتماعية والسياسية للوطن الأندلسي، صورة المجتمع الاقتصادية والتي تشير إلى الطبقات التي تَكَوَّنَ منها المجتمع المرابطي، اشتملت الكتابات على معاني ودلالات انسانية منبعها رسوخ وتأصل الوازع الديني، وتحمل قضية محاسبة النفس والاعتراف بخطئها.

كما أوضحت الدراسة أنواع الغربة التي تعرض لها الأندلسيون وآثارها النفسية ونتائجها على الأهل والأحباب والأصدقاء، أما على المستوى الفني للخطاب الأدبي أظهرت الدراسة إيثار استخدام الكتاب للإيجاز والجمع بين سلاسة التعبير ووضوح اللغة من خلال سهولة الدوال التعبيرية واللغوية المستخدمة والبعد عن التعقيد، وهو ما ينعكس على المتلقي في معايشته للنص، بجانب الاعتماد على الجمل الدعائية في موضعها من النصوص ، ومن جانب آخر لجأ الكتاب للدوال الحالية التي أبرزت مدى معاناتهم باختلاف درجاتها طبقاً للمواقف التي أحاطت بهم. كما ظهر تنوع الخطاب الأدبي في استخدام الدوال الموسيقية الممثلة كالسجع والازدواج وغيرها دون تكلف وبما يتناسب والسياق العام للخطاب. كما حاولت الدراسة إظهار براعة كتاب الأندلس في تصوير غربتهم وهو ما يعكس نزعتهم الدينية وثقافتهم التاريخية والتراثية والتي ظهرت بشكل جليّ داخل المجتمع الأندلسي بمختلف عصوره حتى أصبحت آفة تصيب كل من يحيد عن سياسة أمراء الأندلس، مما أوقع الكثير من أهل الأندلس وخاصة الكتاب منهم في غربة المنفى عن الوطن.

المصادر والمراجع:

١- أبو عبد الله بن أبي الخصال (رئيس كتاب الأندلس) ، د/ فوزي عيسى، كلية الآداب جامعة الاسكندرية.
٢- الإحاطة في أخبار غرناطة، تأليف: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان،جـ ٢، طـ٢، الناشر: مكتبة الخانجي ـ القاهرة، سنة ١٩٧٣.
٣- تجليات الذات الكاتبة في رسائل ابن الدباغ الأندلسي النثرية ، د/ عبد الجواد شعبان الفحام ، مجلة كلية الدراسات العربية ، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا ، إصدار خارجي ، سنة ٢٠٠٦.
٤- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي، الناشر:الدار المصرية للتأليف والترجمة، سنة ١٩٦٦م.
٥- خريدة القصر وجريدة العصر ـ قسم شعراء المغرب والأندلس ، تأليف : عماد الدين الكاتب الأصبهاني (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، تحقيق: آذرتاش آذرنوش ، تنقيح: محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى، جـ٢ ، الناشر : الدار التونسية للنشر، سنة ١٩٨٦م .
٦- خطرة الطيف (رحلات فى المغرب والأندلس) تأليف: لسان الدين ابن الخطيب ،تحقيق وتقديم : د/ أحمد مختار العبّادي، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر _ بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم، ط١ ، سنة ٢٠٠٣م .
٧- ديوان ابن زيدون ورسائله ، تحقيق: د/ علي عبد العظيم ، الناشر : نهضة مصر – القاهرة ، سنة ١٩٨٠م.
٨- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: د/ إحسان عباس، ق١،ج١، الناشر: دار الثقافة بيروت ـ لبنان، سنة ١٩٩٧م ..
٩- رسالة الحنين إلى الاوطان ،تأليف: أبي عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق: الشيخ طاهر الجزائري، الناشر: المطبعة السلفية ـ القاهرة، طـ٢، سنة ١٣٥١م.
١٠- رسائل ابن أبي الخصال،تأليف: د/ محمد رضوان الداية،الناشر: دار الفكر ـ دمشق، طـ١، سنة١٩٨٨م.
١١- رسائل ابن حزم ، تحقيق : د/ إحسان عباس،ج٢ ، الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ، طـ٢ ، سنة ١٩٨٧م.
١٢- رسائل ابن طاهر الأندلسي النثرية وملامحها الفنية، د/ عبد الجواد شعبان عبد السلام الفحام، ط،٢٠٠١م.
١٣- رسائل ومقامات أندلسية ، تحقيق: د/ فوزي عيسى ، الناشر: منشأة المعارف _

الإسكندرية.
١٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، جـ١، الناشر: دار العلم للملايين بيروت، طـ٤، سنة ١٩٨٧م.
١٥- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ،تأليف: أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بأبن خاقان، تحقيق: حسين يوسف خربوش، الناشر: مكتبة المنار ـ الأردن ، جـ٢، سنة ١٩٨٩م.
١٦- معجم السفر، للحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي ، تحقيق: عبد الله عمر البارودي ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، سنة ١٩٩٣ م .
١٧- المغرب في حلي المغرب، تأليف: ابن سعيد المغربي، تحقيق: د/ شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف القاهرة، طـ٤،سنة ١٩٥٥م.
١٨- مقاييس اللغة، تأليف: أحمد بن فارس زكريا أبو الحسن، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، جـ٣، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر القاهرة، سنة ١٩٧٩م.
١٩- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تأليف: أحمد محمد المقري التلمساني، تحقيق: د/ إحسان عباس، الناشر: دار صادر ـ بيروت، د.ط، سنة ١٩٨٨م.
٢٠- الوطن فى الشعر الأندلسي(دراسة فنية)، تأليف: د/ عبد الحميد شيحه، طـ١، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة.